الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية– أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإسلامية

مدرسة المنار وموقفها من السنة النبوية
ـ محمد الغزالي أحمد السقا مرسي أنموذجا ـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في:الحديث وعلومه

إعداد الطالب: إشراف الدكتور: محمد جرادي

أحمد رابحي

لجنة المناقشة:

	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
01	رابح دفرور	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
02	محمد جرادي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقرراً
03	عاشور بوقلقولة	أستاذ محاضر أ	عضواً مناقشا

الموسم الجامعي: 1438/ 1439هـ

2017-2018 م

(...يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير).

سورة المجادلة الآية (11)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" ومن باب الاعتراف بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذ الدكتور محمد جرادي الذي أشرف على هذه المذكرة،فكان لي نعم الموجه والمربي والناصح،كما أتقدم بالشكر الكبير للأستاذ الدكتور رابح دفرور لترأسه لجنة المناقشة والأستاذ الدكتور عاشور بوقلقولة لقبوله مناقشة البحث..

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذين:الدكتور بلخير حدبي،وميلود سقار، اللذين ساعداني بتوجيهاتهما القيمة في انجاز هذه المذكرة...وشكرا.

إهداء

إلى

من أمرني الرحمن أن أعاملها بإحسان... إلى من حملتني وهنا على وهن, قرة العين ومنبع الحنان وأطيب قلب، وأغلى كيان:

أمي الغالية:مسعودة طلحاوي،

إلى رمز القوة والعطاء والطهارة... إلى من علمني العزة ووجهني إلى الطريق القويم... إلى من جاهد ورأى ثمرة جهده,إلى من أنار لي طريق العلم وشجعني على الدراسة، ووهب لي الأمان:

أبي الغالي:مبروك.

إلى التي سكنت القلب والفؤاد فكانت بهجة للعمر وسعادة للروح ونلت ببركتها البركات...إلى آية الطيبة والصلاح:زوجتي الغالية:حكيمة عقبوبي-بارك الله فيها وفي عمرها- وأهلها الرائعين.

إلى فلذة الكبد وزينة الحياة ابني "محمد "جعله الله من أهل التقوى والعلم والسنة والقرآن.

إلى الذين أحبهم قلبي إخوتي الأعزاء،إلى أولي القربى،إلى شيوخي وأساتذتي و كل الأصحاب في كل مكان.

إلى تلاميذي الأعزاء القدامى والحاليين،والذين أتمنى لهم النجاح والتوفيق في الدراسة والحياة..."اللهم وفق تلاميذي في السنوات النهائية لنيل شهادة البكالوريا بأحسن المعدلات ويسر لهم نيل التخصص المرغوب في أحسن الجامعات.

أحمد

المقـــدِّمـــــة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

تعتبر مدرسة المنار وأعمدتها(أشهر روادها) من أهم الفاعلين في حركة الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث، إذ مثلت حركتهم رد فعل متوازن للتحدي المزدوج الذي كان على العالم الإسلامي أن يواجهه منذ القرن التاسع عشر، ألا وهو تدهور المجتمعات في الدول الإسلامية- بل والحضارة الإسلامية كلها-من جانب، والهيمنة العسكرية المتزايدة والتكنولوجية للغرب على العالم الإسلامي من جانب آخر.ولذا نادت مدرسة المنار وثلة من العلماء والدعاة المتأثرين بها بإصلاح عميق يقوم على كل من الوحي الإسلامي وبعض ما أنتجته الحضارة الغربية.

ومن أشهر الدعاة الذين تتلمذوا في مدرسة المنار وأسهموا بأنفسهم وأنفاسهم في سبيل استرجاع مجد الأمة الضائع؛الشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله ،الذي يعد بحق أشهر الدعاة في عصره، وأبلغ الخطباء في وقته ،ذو الأسلوب المتميز والأدب المطبوع والذوق الرفيع واللسان الفصيح والعاطفة الجياشة.

هو الذي كرس حياته للدعوة وانقطع لها وقطع لأجلها البلدان والقارات، وهو الذي سخر قلمه من خلال كتبه البديعة لمحاربة أفكار الغربيين والتغريبيين والعلمانيين والقرآنيين والعقلانيين والمستشرقين والشيوعيين والمنصرين والسطحيين وأشباه المتدينين الذين يهملون روح الدين ومقاصده الحضارية. والشيخ محمد الغزالي _وكشيوخه في مدرسة المنار_ حينما حمل لواء الدفاع عن الدين الصافي ورصد تحركات أعدائه لإيقافها،اعتمد على السنة النبوية والسيرة العطرة في تغيير ذلك الوضع المرير الذي مرت به الأمة،وما صحب ذلك من تحرشات غربية وأزمات داخلية على جميع الأصعدة،وفي خضم ذلك تناول الشيخ محمد الغزالي جملة من القضايا الحديثية والمسائل العلمية في السنة النبوية ؛فكان هذا التناول محل جدل ونقاش بين عديد الباحثين والدارسين المهتمين بالسنة والدعوة والفكر.

ونظرا لذيوع صيت الشيخ وشهرته في مجال الدعوة والخطابة والكتابة ،قام جمع من الشيوخ والعلماء بمناقشة الشيخ محمد الغزالي في تلك الآراء الحديثية –التي منها ما تحمل صفة الرد–،ومعايرة مواقفه خصوصا ما عبر عنه في كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث "الذي أحدث زوبعة في أوساط العلماء وأثار شكوكا في مواقفه تجاه السنة النبوية عند بعضهم،ومن أشهر تلك الدراسات والردود:

حوار هادئ مع محمد الغزالي للشيخ سلمان بن فهد العودة، وسمط الآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي للشيخ أبي إسحاق الحويني وكشف موقف الغزالي من السنة ونقد بعض آرائه للدكتور ربيع بن هادي المدخلي، والقول الكريم الغالي في الدفاع عن الداعية الغزالي للشيخ أبي بكر الجزائري.

هذا وقد قمت بتتبع واستخراج آراء الشيخ في بعض القضايا الحديثية من جل كتبه خصوصا كتاب"السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"،وكتاب"دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين"،محاولا الوقوف على آرائه ومواقفه خلالها ،ومعرفة القاسم المشترك بينه وبين مدرسة المنار– في ذلك–، والتي كانت تهدف أساسا إلى إصلاح شامل ،من شأنه استرجاع أمجاد الأمة الإسلامية .كما اعتمدت على كتب الذين ناقشوا أو ردوا على الشيخ الغزالي فيها ، فكان **عنوان موضوع البحث** :**مدرسة المنار وموقفها من السنة النبوية _ محمد الغزالي أحمد السقا مرسي أنموذجا_**

ولقد كانت هناك **دوافعا وأسبابا عديدة لاختياري للموضوع**

فأما **الذاتية**:

أولا–خدمة السنة النبوية وعلومها،والسير في رحابها،ونيل شرف تعلمها ونشرها على وجهها الصحيح الجميل،وبعدها الحضاري الجليل،لأكسب الحسنات وأرتفع في الدرجات.

ثانيا–تأثري بالعلماء المصلحين،وبالدعاة المؤثرين،وبالمفكرين الملهمين، فمحمد الغزالي هو من أولائك الشيوخ الربانيين، ولذا رغبت في دراسة جانب مهم من التراث الذي خلفه خصوصا ذلك المبثوث في كتبه،والتي تتميز بالأسلوب الأدبي الرائع وبالذوق الرفيع.

وأما **الموضوعية**:

أولا: محاولة الوقوف على حقيقة رد الشيخ محمد الغزالي لبعض الأحاديث الصحيحة وموقفه من بعض المسائل في علوم الحديث،وهل كان ذلك عن هوى وتعصب،كما يسوقه البعض؟

ثانيا: أردت أن أبين أن الداعية –خصوصا الذي له قبول في الأرض- يجب أن يستوعب منهج نقاد الحديث،وأن يطلع على توجيهات المختصين من أهل الصنعة والخبرة لكي لا يقع في أخطاء قد تساعد أعداء الأمة من النيل من السنة ،وهنا تكمن **الأهمية** الكبرى للبحث.

هذا وقد وقفت على بعض **الدراسات السابقة** التي تناولت هذا الموضوع أو أجزاء منه،منها:

- بحث :موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي وهو منشور في العدد الثامن في مجلة بحوث السنة والسيرة الصادرة عام 1995م عن جامعة قطر.
- كتاب موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من السنة النبوية،تأليف د.محمد سيد أحمد شحاته،وأصل الكتاب رسالة علمية نال بها مؤلفها درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه بجامعة الأزهر عام 2009م.

وكان **منهجي يعتمد على التحليل** عموما ،ولذلك قمت بما يلي:

-تجميع المادة العلمية من بعض مؤلفات الشيخ الغزالي وخصوصا كتابه" السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" وكتابه "دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين" مستعينا بكل ما يخدم البحث من آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء والباحثين حسب مقتضيات البحث.

-عند عرض موقف الشيخ محمد الغزالي من مسألة حديثية أو من حديث أبدأ بسرد بعض أقواله ثم أقوال بعض رواد مدرسة المنار ،ثم نقد ذلك مستعينا بآراء أهل الصنعة والعلماء المحدثين و الباحثين المحيطيين بمنهج نقاد الحديث.

-عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وقمت بتخريج الأحاديث النبوية التي وردت في البحث على وجه الاختصار لكي لا يطول البحث.

-اعتمدت في نقلي للنصوص على نسخة واحدة ،وفي بعض الأحيان النادرة على نسختين أو طبعتين للاستفادة أكثر من الاستدراكات والتنقيحات والتصحيحات.

-شرحت بعض الألفاظ الغريبة .

-فهرست للموضوعات حسب ترتيبها في البحث.

ولقد **اعترضتني صعوبات** كثيرة في هذا البحث،أهمها: أن أغلب الدراسات في العلوم الإنسانية ،ولا سيما تلك الخاصة بحقل العلوم الإسلامية لا تخلوا إلا قليلا من حشر الاتجاهات والخلفيات والآراء المسبقة في البحوث ،ولذا ندرت الدراسات المتسمة بالإنصاف العلمي والموضوعية التامة،و البعيدة عن الحشو والاجترار.

-وللوقوف على مدى صحة تلك الشكوك التي تحوم حول الشيخ محمد الغزالي وكتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) ،أهو من منكري السنة النبوية جملة وتفصيلا أم لا؟ وان كان الجواب ب"لا"؛ فهل رد بعض السنة عن هوى وتعصب ؟أم فعل ذلك وهو في معرض الدفاع عنها؟،ولأجل الإجابة عن تساؤلات هذه **الإشكالية** كانت **خطة البحث** كالتالي:

-المقدمة.

الفصل الأول: مدرسة المنار والشيخ محمد الغزالي، ومبحثيه:

المبحث الأول: التعريف بمدرسة المنار وأشهر روادها ،ونشأتها وتطورها .

المبحث الثاني: التعريف بشخصية الشيخ محمد الغزالي ،وتأثره بمدرسة المنار.

الفصل الثاني:موقف الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية ويشمل ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: موقف الشيخ محمد الغزالي من أحاديث الآحاد.

المبحث الثاني: موقف الشيخ محمد الغزالي من الصحيحين.

المبحث الثالث: مرتبة السنة في التشريع عند الشيخ محمد الغزالي.

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية لآراء الشيخ محمد الغزالي في بعض نصوص السنة النبوية،ويشتمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: حديث"لولا حواء لم تخن أنثى زوجها".

المبحث الثالث: حديث الذبابة.

–خاتمة

الفهارس لتسهيل الوصول إلى المعارف والمعلومات.

الفصل الأول:

مدرسة المنار والشيخ محمد الغزالي.

ويتضمن مبحثين:

- **المبحث الأول:التعريف بمدرسة المنار وأشهر روادها، ونشأتها وتطورها.**
- **المبحث الثاني:التعريف بشخصية الغزالي، وتأثره بمدرسة المنار.**

المبحث الأول:التعريف بمدرسة المنار وأشهر روادها، ونشأتها وتطورها:

تعرض العالم الإسلامي لتأثيرات متزايدة مباشرة وغير مباشرة للاستعمار والتوسع الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر،حيث جاءت الهيمنة السياسية والاقتصادية بصحبة التأثيرات الاجتماعية والثقافية لأوروبا ما بعد التنوير،وأدخلت القوانين الأوروبية والنظم التعليمية والمؤسسات السياسية الأوروبية إلى معظم أرجاء العالم الإسلامي،وتشكلت شبكة موازية للشريعة والتعليم الديني.وكان التطور الأكثر خطورة في هذه السلسلة هو إلغاء الخلافة في تركيا عام 1924م ،فأضحى العالم الإسلامي يواجه قوة أجنبية تحاول الهيمنة على المسلمين سياسيا وثقافيا بنشر مبدأ العلمانية.[1]

ولمجابهة ذلك شهد القرن العشرين بروز حركات إسلامية أهمها تلك المتمثلة في مدرسة المنار الإصلاحية والتي استقت اسمها من جريدة المنار التي أنشأها محمد رشيد رضا بالتنسيق مع أستاذه الإمام محمد عبده،إلا أن مدلولها يمتد في عرف معظم الباحثين ليشمل جذر التكوين الفكري لمحمد عبده ورشيد رضا وهو جمال الدين الأفغاني،إذ يعتبر هذا الثلاثي من أهم رواد هذه المدرسة والتي كانت ترمي إلى: «الحث على تربية البنات والبنين ،والترغيب في تحصيل العلم والفنون،وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم،والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة،وطرق أبواب الكسب والاقتصاد وشرح الدخائل التي مازجت العقائد للأمة ،والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها،والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد ،والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل حتى صار الجبر توحيدا،وإنكار الأسباب إيمانا،وترك الأعمال المفيدة توكلا،ومعرفة الحقائق كفرا وإلحادا،وإيذاء المخالف في المذاهب دينا،والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحا،واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفانا،والذل والمهانة تواضعا،والخشوع للظلم والاستسلام للضيم رضا وتسليما،والتقليد الأعمى لكل متقدم علما ويقينا».[2]

1- ينظر:زعماء الإصلاح في العصر الحديث،أحمد أمين ص53،وينظر:مجلة إسلامية المعرفة،العدد 7.

2- النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين ،2/41-42، محمد رجب البيومي ،طبع مجمع البحوث الاسلامية 1400هـ 1980م.

*** أشهر رواد مدرسة المنار:**

1-جمال الدين الأفغاني:(1838م-1898م/1254هـ-1314هـ)

يعتبر جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني بحق هو الأب الروحي لمدرسة المنار التي حملت لواء الإصلاح الفكري للأمة،كما تعتبر العروة الوثقى بأعدادها الثمانية عشر عددا ،والتي صدرت من باريس في 13 مارس 1884م وكان آخر أعدادها في 18 أكتوبر 1884 هي الجذوة التي حركت تلك المدرسة؛حتى أن رشيد رضا قد استنسخ تلك الأعداد وصار يرجع إليها مرارا وتكرارا يستلهمها في سيرته الإصلاحية.وكانت تلك الجريدة ثمرة التعاون بين جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مرحلة اشتراكهما معا في أفكار الجريدة.[1]

لقد أشاع الأفغاني في العروة الوثقى روح الثورة ضد الاستعمار والنفوذ الأجنبي في البلاد الإسلامية ،وأكد لشعوب تلك البلاد قدرتها على تحدي المستعمرين.وحارب الاستبداد السياسي للحكام المسلمين ودعا إلى الإطار الدستوري والنظام الشوري ،وتحدث طويلا عن ضرورة وحدة المسلمين في ظل مشروع الجامعة الإسلامية كأداة فعالة لمواجهة الاستعمار والنفوذ الأجنبي،ورأى في الإسلام الحقيقي الخالي من الشوائب والخرافات أداة الأمة لتحقيق تلك الأهداف،ومن ثم اهتم بإعادة فهم المسلمين لدينهم الصحيح بحيث يعود الإسلام كما بدأ رمزا لاحترام العقل وحافزا يدفع صاحبه لطلب الحرية والاستقلال والعزة والكرامة.لقد اعتبر الأفغاني القرآن العظيم هو العمدة في الهداية فقال: «إن سبب الهداية هو القرآن وحده وهو وحده العمدة »[2]،فكأن جمال الدين الأفغاني يعول على القرآن وحده في طريقه الإصلاحي دون إشارة لدور وأهمية السنة النبوية في الإصلاح.

لقد كان الشيخ محمد الغزالي مبهورا معجبا بجمال الدين الأفغاني؛حتى أنه عقد فصلا في كتابه علل وأدوية عنوانه(مع جمال الدين الأفغاني) قال فيه :«لوددت أن يكون علماء الدين على صفته في عزة

1- جمال الدين الأفغاني ،عبد القادر المغربي،بتصرف،ص80-86.

2-المرجع نفسه،ص86

النفس،وشموخ الأنف،والتوكل على الله»[1] ،وقال:« في القرن الماضي ظهر جمال الدين الأفغاني، وكان رجلا حاد الذكاء، حاد الطّبع يحتقر التعصب الأوربي، ويمارس إنقاذ الجماهير من غارته»[2].

محمد عبده (1849– 1905/ 1266هـ– 1323هـ)

كان محمد عبده صديق الكفاح لجمال الدين الأفغاني، ولكنه لم يملك النفس الطويل في مجال الكفاح السياسي. لقد رأى هزيمة الحركة العرابية أمام تعاون الخديوي توفيق وقوات الاحتلال الانجليزي، ونُفي من البلاد، كما رأي التضييق عليه، وشعر أن الإصلاح عن طريق السياسة رغم أنه أدنى و أسرع كما كان يعتقد الأفغاني إلا أن الإصلاح عن طريق التعليم و التربية هو أثبت وأدوم.

بدأ محمد عبده مسيرته الإصلاحية بالوسائل التربوية و التعليمية، بدءا من استخدام الصحافة إلى محاولة إصلاحه للأزهر و دار العلوم، ومدرسة القضاء الشرعي و النهوض باللغة العربية وتطويرها، ويجد في تلميذه رشيد رضا كل العون في خلال تلك المرحلة الطويلة، والذي يتابع الأعمال الكاملة لمحمد عبده يدرك الاختلاف الكبير الذي حدث لمحمد عبده بعد استقلاله عن الأفغاني[3]، فالخطاب الإصلاحي لدى محمد عبده أكثر ميلا إلى مهادنة الحاكم من أجل تحقيق الإصلاح داخل مؤسسات التعليم خصوصا الأزهر الشريف.

للإمام محمد عبده مؤلفات عدة منها : تفسير الخمسة أجزاء الأولى من تفسير المنار وقد جمع الكلام عنها وفيها تلميذه محمد رشيد رضا ونشرها في أعداد المنار، ثم أدخلها في تفسير القرءان الحكيم للشيخ رشيد، الذي وصل فيه إلى سورة يوسف.ويرى الشيخ محمد الغزالي أن الإمام عبده شيخ له ذكاء الفيلسوف، ودقة الفقيه، وأناة المربي [4]و يقول: « وقد قرأت للشيخ محمد عبده أنه قرأ خمسة وعشرين تفسيرا، وهو يعالج آيات الأحكام، ثم تأملت في تراثه، وتراث تلميذه الشيخ محمد

1–علل وأدوية، محمد الغزالي ،ص 76.

2– المرجع نفسه،ص90.

3– تاريخ الأستاذ الإمام، محمد رشيد رضا، 193/8،مطبعة المنار جزآن – القاهرة–.

4– الحق المر، محمد الغزالي، 138/3.

رشيد رضا، فوجدتني أمام قمة شامخة من قمم الفقه والأصول وعلوم العقيدة و الملل والنحل»[1] وقد تابع الشيخ الغزالي محمد عبده في بعض القضايا كنفيه لسحر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:« وقد سرني أن الشيخ محمد عبده رفض هذا الحديث»[2] وتابعه أيضا في مسألة خبر الآحاد و التعويل على القرآن لأنه متواتر، يقول الشيخ: «يقول المرحوم الإمام محمد عبده : القرءان الكريم هو الدليل الوحيد الذي يعتمد عليه الإسلام في دعوته،أما ما عداه مما ورد في الأحاديث سواء صح سندها أو اشتهر أو ضعف، فليس مما يوجب القطع»[3].

محمد رشيد رضا (1865– 1935/ 1282–1345)

لقد رافق الشيخ محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن السيد منلا علي خليفة البغدادي أستاذه في مرحلة الإصلاحية،ورأى فيه الشيخ محمد عبده حامل فكره الإصلاحي في حياته ووريث هذا الفكر بعد مماته، وذلك من خلال مجلة المنار التي أنشأها محمد رشيد رضا والتي حملت فكر الأستاذ الإمام محمد عبده ،و كما قال محمد عبده بنفسه :« إن الله بعث إليّ بهذا الشاب ليكون مددا لحياتي ومزيدا في عمري. إن في نفسي أمور كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة وقد ابتليت بما شغلني عنها وهو يقوم ببيانها الآن كما أعتقد وأريد... وقد رأيت في سفري هذا من آثار علمه وتأثير مناره ما لم أكن أظن ولا أحسب، فهو قد أنشأ لي أحزابا و وأوجد لي تلاميذا وأصحابا.» [4]

صدر العدد الأول من المنار في 22 شوال 1315هـ الموافق ل 17 مارس 1897م وظل محمد رشيد يتابع إصداره لما يقرب من أربعين سنه بلا كلل ولا فتور، إذ كان آخر ما طبع من المنار هو الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في 29 ربيع الثاني 1354هـ والذي وزع بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا، والذي يقرأ العدد الأول للمنار يدرك الهم المشترك لمدرسة المنار مع التميز الواضح للبعد عن العمل السياسي والاقتصار على العمل التربوي والفكري خاصة في حياة الإمام محمد عبده،

1-الحق المر، محمد الغزالي، 212/3.

2-السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث،محمد الغزالي، ص76.

3- تراثنا الفكري في ميزان الشرع، محمد الغزالي ،ص 177.

4- الخطاب التربوي والفلسفي عند محمد عبده، علي زيعور، ص 38،دار الطليعة، بيروت 1988.

الذي كان يشير على تلميذه رشيد رضا بالبعد عن الخوض في السياسة والاقتصار كلية على الإصلاح الديني والإجتماعي[1]، إلا أن محمد رشيد رضا لم يستطع أن يعزل نفسه عن العمل السياسي، وقد رأى جماعة الإتحاد والترقي تسيطر على الدولة العثمانية وتدعو إلى تتريك الأقطار العربية، وتتعالى على العرب بالنعرة الجنسية وإيثارهم أنفسهم بمناصب الدولة ومحاولتهم نشر التركية على حساب العربية. كما رصد تحرك القوميين العرب والشريف حسين ومغازلة الإنجليز لهم كسبا للرأي العام العربي حتى يقف العرب معهم ضد الدولة العثمانية.

لقد ترك رشيد رضا زادا علميا ودعويا زاخرا أشهره:"تفسير المنار" الذي أستكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية 125 من سورة النساء،وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ سورة يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره، ولرشيد رضا أيضا بعض الآراء التي أثارت جدلا كسابقيه خصوصا فيما يخبر الآحاد و أحاديث الفتن والغيبيات فقال:« إنه لا بد من إعادة النظر في أحاديث الفتن ...من الناحية العقلية»[2] .وقال الشيخ محمد الغزالي عنه والذي يبدو جليا تأثره به :« ويعجبني قول الشيخ محمد رشيد رضا: التفرقة بين ما ثبت بنص القرءان من الأحكام وما ثبت بروايات الآحاد»[3].

مما سبق يمكن استخلاص أن هناك نقاطا مشتركة انطلقت منها مدرسة المنار متمثلة في جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا على الرغم من الاختلاف في لغة الخطاب عند كل واحد منهم والتي دارت حول ضرورة إحياء الفكر الإسلامي الصحيح، والاستفادة من تراثنا العلمي وإسهام المسلمين في مجال العلوم، ونشر الثقافة الإسلامية وإصلاح المؤسسات التعليمية والدفاع عن الإسلام والمسلمين، والأخذ من الحضارة الغربية بعد معايرتها بمعاييرنا الاجتماعية والثقافية والإسلامية.

لذلك كثر تلاميذ هذه المدرسة الإصلاحية فكأن أشهرهم الإمام حسن البنا والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد الغزالي كما رأينا في بعض كتاباته ومواقفه التي يظهر منها جليا انبهاره بأعلام مدرسة المنار وموافقته لكثير من آرائهم فيقول :«المنهج الذي ارتبطنا به كان من وضع الشيخ محمد

1- رشيد رضا الإمام المجاهد ،العدوي، ص: 139.

2-كيف نتعامل مع القرآن ،محمد الغزالي،ص 114:-115

3- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية،محمد الغزالي،ص: 107.

مصطفى المراغي وهو من مدرسة الشيخ محمد عبده الإصلاحية ...وأعتقد أن هذه الفترة هي أزهى فترات التألق العلمي في الأزهر لأن دراسة الطبيعة والكيمياء والأحياء وعلوم الحساب والجبر والهندسة والتوسع في دراسة التاريخ المحلي والإسلامي والعالمي ،ودراسة جغرافيا العالم كله..يصقل فكر الطالب ويعينه على تكوين حكم صائب،بل إن الحقائق الشرعية لا تفهم على واقعها الصحيح إلا بهذه المعرفة»[1].

فيبدو أن دراسة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في الأزهر وتأثره بمناهج التدريس فيه التي هي من إقتراح المتأثرين بمدرسة المنار أساسا جعل من آراء الشيخ الغزالي متناغمة مع آراء رواد مدرسة المنار خصوصا ما تعلق بكون القرءان هو العمدة في الدعوة والهداية، وفي موقفهم من السنة وخبر الآحاد ودور العقل في معايرة النصوص النبوية حتى ولو كانت في الصحيحين.

1-قصة حياة،مقتطفات من مذكرات الشيخ الغزالي،ص159-160

المبحث الثاني: التعريف بشخصية الشيخ محمد الغزالي، وتأثره بمدرسة المنار:

عرفت التجربة الإسلامية الحديثة و المعاصرة ــ في تركيبها النظري والعملي الشامل ــ ثلة مرموقة من الرجال الذين رغدوها بعلم نظري غزير وبعمل دعوي وفير،إذ لا نفتأ نذكر محمد بن عبد الوهاب والقاضي الشوكاني، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس وحسن البنا، والندوي والمودودي. لكننا لا نملك إلا إقرارا بأن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله كان في تقدير جملة الناظرين، من أبعدهم أثرا في الملأ منهم . قد ابتغى الشيخ صوغ منظومة فكرية تصورية محكومة بآليات المنطق التقني ومنهجيات العلم الطبيعي وإبراز وجوه الإسلام التفصيلية المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والخلقية والروحية، لأن المبدأ الرئيسي الموجه لتجربته وحياته تمثل في "أن الإسلام للحياة" .وهذه أبرز محطات حياته[1]:«

– ولد الشيخ محمد الغزالي السقا في 30 محرم 1341هـ الموافق 22 سبتمبر 1917 بقرية " نكلا العنب" مركز ايتلي البارود بمحافظة البحيرة بمصر.

ــتلقى تعليمه الأولي والثانوي في معهد الإسكندرية الديني.

ــالتحق بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر سنة 1356هـ/ 1937م ، وكان الشيخ عبد المجيد اللبان عميدا للكلية ومن أساتذته فيها الشيخ عبد العظيم الزرقاني والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد يوسف موسى والشيخ محمد غلاب.

ــعين سنة 1362هـ/ 1934م إماما وخطيبا بمسجد العتبة الخضراء بالقاهرة.

ــكان الشيخ الغزالي من أوائل الأعضاء البارزين في جماعة الإخوان المسلمين وكان مقربا لشيخ حسن البنا، وفي أوائل الخمسينيات عمل في مجالات الحركة الإسلامية دون انتماء لجماعة من الجماعات.

ــترقى الشيخ الغزالي في مناصب وزارة الأوقاف فعين مستشارا في المساجد ثم واعظا في الأزهر الشريف، ثم وكيلا لقسم المساجد ومديرا للمساجد ومديرا للتدريب ،في عام 1391هـ/ 1971م

1– انظر:مقالات الشيخ محمد الغزالي،محمد الغزالي،165/3،وينظر:النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين،د.محمد رجب البيومي،400/3.

عين مديرا عاما للدعوة والإرشاد، وفي نفس العام أنتدب وكيلا لوزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية بمصر.

_أعير أستاذا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1397هـ/ 1977م

_عين سنة 1401هـ/ 1981م وكيلا لوزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية بمصر.

_عمل بجامعة قطر، كما عين رئيسا للمجلس العلمي بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، الجزائر إلى أن استقال سنة 1401هـ/ 1989م.

_ للشيخ الغزالي في مجال التأليف دراسات متنوعة تنشر بين الجماهير وتعدت مؤلفاته إلى أكثر من خمسين كتابا كان أولها" الإسلام والأوضاع الاقتصادية" وآخر ما صدر له كتابه عن " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" في ثلاث مجلدات، كما ترجمت بعض أعماله إلى عدة لغات.

_ زار الشيخ الغزالي معظم الدول العربية والعديد من الدول الإفريقية والآسيوية والأوربية والأمريكية للمشاركة في نشاطات الدعوة الإسلامية.

_ ترأس الشيخ الغزالي_ في السنوات الأخيرة_ المجلس العلمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة.

_ انتقل الشيخ محمد الغزالي إلى رحمة الله في 19 شوال 1416هـ الموافق ل 09 مارس 1996م، أثناء مشاركته في ندوة فكرية بالرياض، ودفن بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة. »

تلك هي أهم محطات حياة الشيخ الغزالي والذي إذا ذكر تتبادر إلى الأذهان جملة خصال قل أن تتوافر كلها أو تجتمع بجملتها في عالم معاصر، ومن هذه الخصال الحميدة[1]:«

1-الاجتهاد القائم على سعة الإسلام ومرونته ومقاصد شريعته وكليات مصادره وغاياته العليا.

2-السماحة والاعتدال اللذان ينبهان بوضوح إلى الفهم الدقيق لوسطية الإسلام، والإدراك العميق لقيمه العليا (التوحيد والعمران والتزكية) ،والفقه المستفيض في معيار الإسلام الأساس الذي انبثق " الاعتدال" واشتقت "الوسطية".

3-الغيرة الصادقة على " الأمة القطب" التي انتمى إليها بعقله وقلبه ووجدانه فضلا عن دمه و جسده غيرة علي دينها وأرضها وعرضها وأبنائها وماضيها وتاريخها ومستقبلها ووحدتها.

1- شيخنا محمد الغزالي رحمه الله وصفحات من حياته،طه جابر العلواني،ص6.

4-القدرة النقدية، والطاقة العقلية، والمعرفة المتنوعة الواسعة، والذكاء الخارق اللماح، والطاقة المتجددة المتطلعة، على الدوام إلى معرفة الجديد والمزيد فيكل ما من شانه أن يخدم هذه الأمة وقضاياها المتشعبة.

5-الحب والوفاء لربه ولنبيه ودينه وأمته ورفاقه وتلامذته، يساعده على ذلك قلب كبير نقي من الغل والحقد والحسد والبغضاء والكراهية، خالص للإيمان والحب والوفاء. »

قال عنه العلامة الدكتور يوسف القرضاوي:« والحق أن هذه الدراسة أثبتت أننا أمام قائد كبير من قادة الفكر والتوحيد وإمام فذ من أئمة الفكر والدعوة والتجديد، بل نحن أمام مدرسة متكاملة متميزة من مدارس الدعوة والفكر والإصلاح »[1]. ويقول الدكتور محمد عمارة أيضا عنه:«من أبرز علماء الأمة في هذا العصر الذي نعيش فيه،جمع ما يندر أن يجتمع في آن واحد؛ جمع بين قلب الداعية، وعقل الفقيه المجدد، وشجاعة المجاهد المرابط على ثغور الإسلام الفكرية، جمع بين الفقه والوحي بواقع العصر الذي نعيش فيه، وكان يحمل رحمة الله عليه على كاهله المثقل بالمشكلات الصحية هموم الأمة»[2] .

وقال عنه الشيخ أبو إسحاق الحويني:«هو أحد الدعاة البارزين في هذا العصر، وهو من أفضالهم عرضا للقضايا الإسلامية لما يتميز به من حسن ظاهر وحرارة عالية، وتفوق في الأداء، وهو متحدث لبق، يستولي على آذان سامعيه، وقد أحيا الله به قلوبا كثيرة، لاسيما في خطبه المشهورة في أيام الجمعات ... وله جهد مشكور في الذود عن حمى الإسلام ضد أعدائه من اليهودية والنصرانية والعلمانية...وغيرها»[3] .

لقد عاش الشيخ محمد الغزالي عمرا مديدا انفق قسطا وافرا منه في الكتابة، وألف ما يفوق تعداده الخمسين كتابا في شتى قضايا الفكر الإسلامي، أبرز فيها الأبعاد الاجتماعية الحقيقية للإسلام، وفي كل إنتاج الشيخ الغزالي كانت سمة الاجتهاد والتجديد حاضرة واضحة ، سواء في تركيبه للأفكار، أو في أسلوبه في الطرح والحوار، أو في الوعاء اللغوي الأنيق الذي استخدمه لبث تلك الأفكار.

1-الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، الشيخ يوسف القرضاوي،ص 259.

2-كتيب موسوعة الشيخ محمد الغزالي ،ص 26.

3-سمط الآلئ في الرد على الشيخ محمد الغزالي،أبو اسحاق الحويني، ص 3.

على مدى نصف قرن ونيف من جهاده الفكري هبت في وجهه مختلف الجبهات المتناقضة في تفكيرها والمتحدة من اعتراضها على بعض أفكاره ومنطلقاته وتعرضه لصدمات عنيفة وعواصف هائجة خصوصا لما ألف كتابه " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" .هذا الكتاب الذي أهاج عليه خصومات الكثيرين وأستثار أقلاما عدة لترد عليه بقسوة وحدّة. قال الدكتور ربيع بن هادي المدخلي:«و أخيرا طلع له كتاب السنة بين أهل الفقه و أهل الحديث فأفرغ فيه حثالة أفكاره المريضة، وتجاربه السخيفة في مجال الدعوة، وأنكر بعض أحاديث الصحيحين، بل بلغ فيه التخريف إلى أن سوى بين شهادة الرجل والمرأة خلافا لحكم الله تعالى »[1].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «إني أريد أن احذر من ضلالات ذلك الشيخ الغزالي الذي ملأ الدنيا بالتشكيك في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم و الطعن فيها باسم الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه " السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث" والحقيقة أن كل من درس كتابه هذا من العلماء تبين له _كالشمس في رابعة النهار_ أنه لا فقه عنده ولا حديث، إلا ما وافق عقله وهواه »[2] ،والحقيقة أن « هذا ظلم بين للشيخ»[3] لأن الموقف المبدئي للشيخ الغزالي من السنة؛ هو موقف الالتزام الكامل بها والمحاماة عنها والاشتباك مع خصومها، بقلمه البليغ، وبيانه الدفاق، ولقد شدد النكير في أكثر من كتاب له على الذين يزعمون الاستغناء بالسنة عن القرءان مسفها رأيهم، ومضللا اتجاههم، كما حمل في الوقت نفسه على الذين يخوضون في السنة، ويتحدثون عنها ، دون أن يعايشوا القرآن ويضربوا في معرفته بسهم وافر[4] .

هذا باختصار تعريف موجز للشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي يعد من تلامذة المنار المشهورين وهو القائل:«و أنا أحد تلامذة المنار والمستفيدين من تفسيره، ورأي في مدرسة المنار، وشيخها رشيد، وأستاذه الشيخ محمد عبده حسن»[5] .

1-كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها، الربيع بن هادي المدخلي، ص7.

2-السلسلة الصحيحة،ناصر الدين الألباني، 824/7.

3-موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية، يوسف القرضاوي،ص379،بحث في مجلة مركز البحوث والسيرة، عدد 8.

4-المرجع نفسه،ص388.

5- مقالات الشيخ محمد الغزالي، 17/3.

الفصل الثّاني:

موقف الشيخ محمد الغزالي من السنة النبّوية.

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:موقف الشيخ الغزالي من أحاديث الآحاد.**
- **المبحث الثاني:الصحيحان وموقف الغزالي منهما.**
- **المبحث الثالث: مرتبة السنة في التشريع عند الشيخ الغزالي.**

المبحث الأول: موقف الشيخ الغزالي من أحاديث الآحاد.

المطلب الأول: التعريف بخبر الآحاد

يقسم علماء المصطلح الأحاديث من حيث عدد الرواة إلى قسمين رئيسين هما:

1- المتواتر:- لغة: هو اسم فاعل مشتق من المتواتر أي التتابع، نقول تتواتر المطر أي تتابع نزوله.

- اصطلاحا:قال السيوطي رحمه الله: «وهو ما نقله ما يحصل العلم بصدقهم ضرورة بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أوّله أي الإسناد إلى آخره.»[1]

وقد وضعت شروط وضوابط للحكم على الحديث بالتواتر: منها أن يرويه عدد غير معين على التحديد إلا أنه مشروط بأن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وأن تكون الرواة في جميع الطبقات أولهم كآخرهم وكأوسطهم. و أن يكون مستند الرواة الحس كقولهم سمعنا أو أخبرنا. فإذا أختل شرط منها، أصبح الحديث غير متواتر وحكم عليه بأنه من أخبار الآحاد. و جرت عادة المحدثين أن يقسموا المتواتر إلى قسمين:أولها:المتواتر اللفظي وهو ما تواتر لفظه مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم :«من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[2] .

ثانيهما: المتواتر المعنوي: وهو ما تواتر معناه أي القدر المشترك منه مثل حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية سبع وعشرين.[3]

حكمه: يقول ابن حجر العسقلاني: « الحديث المتواتر هو المفيد للعلم اليقيني. واليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق»[4].

1-تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،جلال الدين السيوطي،74/2.

2- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء،باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم3274.

3-نظم المتناثر من الحديث المتواتر،الكتاني ،19/1

4-شرح نخبة الفكر،ابن حجر، ص 13.

2-الآحاد لغة: الآحاد جمع أحد، وأصله وَحَد، و أحد بمعنى الواحد؛ وكذلك يقال:خبر الواحد، وخبر الآحاد، وأخبار الآحاد، وواحد أول العدد مأخوذ من اسمه خبر رواه واحد عن واحد[1].

-اصطلاحا: ما لم يجمع شروط المتواتر[2]، وعرفه الخطيب:«فهو ما قصر عن صفة التواتر، ولم يقطع به العلم، وإن روته جماعة »[3] .

وقال النووي:« و أما خبر الواحد فهو: ما لم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوي له واحدا أو أكثر»[4].

ومؤدى التعريفين أن خبر الآحاد لا ينحصر في الخبر الذي ينقله الواحد كما تقيده عبارة " خبر الواحد" بل يشمل الذي ينقله اثنان أو أكثر ما لم ينته إلى حد التواتر كما تفيده عبارة خبر الآحاد، ولذا قسم العلماء من المحدثين حديث الآحاد إلى ثلاثة أقسام:

***المشهور:لغة**: هو اسم مفعول من "شهرت الأمر"[5]. إذا أعلنته و أظهرته وسمي بذلك لظهوره.أما **اصطلاحا** : ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر[6] .

***العزيز**: **لغة**: هو صفة مشبهة من "عزَّ يَعِزُّ" بالكسر أي قل ونذر أو من عَزّ" "يعزّ" بالفتح أي قوي وأشتد، وسمي بذلك أما لقلة وجوده وندرته.و أما لقوته بمجيئه من طرف آخر.

اصطلاحا: أن لا تقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند"[7]

***الغريب**: **لغة**: الغريب- صفة مشبهة على وزن فعيل، مأخوذة من الغربة وهي النزوح والبعد عن الوطن، ومنه غروب الشمس، وسمي الغريب لانفراده عن وطنه وأقاربه[8].

1-لسان العرب،4779/8، والقاموس المحيط 365/1، التعريفات،الجرجاني ،ص96.

2-نزهة النظر ،ابن حجر ،ص26.

3-الكفاية في علم الرواية ،الخطيب البغدادي ،16/1

4-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ،131/1

5-مختار الصحاح،الرازي،167/1.

6-شرح اختصار علوم الحديث،بن كثير،363/1.

7-تيسير مصطلح الحديث،محمود الطحان، 5/1.

8-معجم مقاييس اللغة،ابن فارس،695/3.

اصطلاحا:هو الحديث الذي تفرد بروايته راوٍ واحد في أي طبقة من السند[1]

لقد وضع المحدثون شروطا لقبول خبر الآحاد، وهي نفسها شروط قبول الحديث الصحيح: أن يكون الراوي عدلاً، وأن يكون ضابطاً، وأن يكون الإسناد متصلا، وأن يكون الخبر سالما من الشذوذ، وأن يكون الخبر سالما من العلة.[2]

1-مقدمة ابن صلاح مع التقييد ،ص 270.

2-المصدر نفسه،ص8

المطلب الثاني: موقف الشيخ محمد الغزالي من خبر الآحاد وحجيته

يرى الشيخ الغزالي أن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن ولذا لا تثبت به عقيدة عنده. فقال: « أما الزعم -يقصد خبر الآحاد-بأنه يفيد اليقين كالأخبار المتواترة فهي مجازفة مرفوضة..... »[1] .

وقال ايضا:«لقد تخرجت في الأزهر من نصف قرن، ومكثت في الدراسة بضع عشرة سنة لم أعرف خلالها إلا أن أحاديث الآحاد يفيد الظن العلمي، وأنه دليل على الحكم الشرعي ما لم يكن هناك دليل أقوى منه، والدليل الأقوى قد يؤخذ من دلالات القرآن القريبة والبعيدة، أو من السنة المتواترة، أو من عمل أهل المدينة والقول أن أحاديث الآحاد يفيد اليقين، كما يفيده المتواتر، ضرب من المجازفة المرفوضة عقلاً ونقلاً»[2] .

ويقول:«أما حديث الآحاد فيعطي الظن العلمي أو العلم الظني، ومجاله الرحب في فروع الشريعة لا في أصولها»[3] ،وقال أيضا:«نؤكد أن خبر الواحد قديماً وحديثاً ما كان يفيد إلا الظن».[4] وقال أيضا:«أما السنة فإن منها المتواتر، وأكثرها أخبار الآحاد. وروايات الآحاد تفيد الظن العلمي لا القطع الجازم، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيات لا الظنيات»[5] .

ويقول الشيخ أيضا:« فكيف يقال في حديث الآحاد إنه يفيد عقيدة وهو لا يفيد حكما بطريق اليقين ؟ ولولا أن الأحكام الشرعية تؤخذ بالظن، ما كان يعمل بحديث الآحاد ...إنه يفيد الظن، ويؤخذ به لأننا إذا أتينا بشاهدين على القتل، هذا لا يفيد اليقين، لأنهما يحتمل أن يتواطأ على شيء... فكيف يقال أن حديث الواحد يفيد اليقين؟. هذا كلام باطل...ونحن ليست لدينا عقدة مأخوذة من حديث آحاد أبداً... ولكن يمكن أن تؤخذ أحاديث الآحاد في العقائد إذا كانت شارحة للقرآن مثل أحاديث عذاب القبر وثواب القبر، و ما إلى ذلك. وهذا كلام موجود كله في القرآن،

1-السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث،محمد الغزالي، ص101.
2-المرجع نفسه، ص94.
3-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ،محمد الغزالي،ص56.
4-المرجع نفسه،ص56
5-نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي ،ص 142.

ولكن بطريقة القرآن في الإجمال»[1] . ويؤكد الشيخ الغزالي رأيه في حديث الآحاد فيقول: « جمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ويعدها دليلا على الحكم الشرعي الذي نتعبد الله بإقامته. ومن الناس من عدّ هذه السنن مفيدة لليقين الذي يفيده التواتر-مادامت صحيحة- ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد في الأحكام العملية والفروع الفقهية. ولا ينقلها إلى ميدان العقيدة الذي يقوم الأمر فيه على القطع. ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظن العلمي وحسب... مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة في إفادة الحكم الشرعي؛ فإن عددا من الأئمة يتجاوز هذه السنن إذا كانت هناك قرينة منها في إفادة حكم الله فمالك مثلاً يرى عمل أهل المدينة أدل على السنة النبوية من حديث الآحاد مهما كانت صحته، والأحناف يرون أن حديث الآحاد لا ينهض على إثبات الفرضية وحده، ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة. ولكنه يثبت أحكاما أقل رتبة، وغالى بعضهم فجعل القياس القطعي أرجح من سنن الآحاد. ودراسة السنة علم له رجاله الخبراء، ولا يقبل في هذا الميدان ما يرسله السفهاء من أحكام طائشة تجعل التطويح بالسنة النبوية الشريفة أمرا جائزاً أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعاً..وفي ذلك يقول الأستاذ الإمام حسن البنّا« و يرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات»[2]

وينقل عن صاحب المنار قوله: « التفرقة بين ماثبت بنص القرآن من الأحكام وما ثبت بروايات الآحاد وأقيسة الفقهاء ضرورية، فإن من يجحد غيره ينظر في عذره. فما من إمام مجتهد إلا وقد قال أقوالاً مخالفة لبعض الأحاديث الصحيحة لأسباب يعذر بها، وتبعه الناس على ذلك. ولا يعد أحد ذلك عليهم خروجا من الدين حتى من لاعذر له في التقليد»[3] ،وقد أستدل على أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن لذلك لا تثبت به عقيدة.فتراه يدعم موقفه بمجموعة من الحجج فيقول ويدفعنا إلى ذلك أمور[4] ":

1-الفرد قد ينسى أو يخطئ، فهو بشر، وقد تفاوتت كلمات الرواة في نقل حادثة واحدة تبعا لذلك

1-كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، ص 115.

2-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،محمد الغزالي ،ص27.

3- هموم داعية،محمد الغزالي، ص: 84.

4-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،ص57

ووقوع الخطأ أو النسيان في مرويات الآحاد أمر لا ريب فيه، ولذلك من المجازفات الزعم بأن خبر الواحد يفيد اليقين.

2-نحن في شؤون الدنيا نستوثق للحقوق بجعل شهادة رجلين عدلين أو رجل و امرأتين، فكيف نهبط بنصاب الثقة في شؤون الدين، إذا كان حيز العدل لا يثبت عشرة دنانير فكيف يثبت عقيدة قد تطيح عند جحدها بالرقاب.

3-رأينا من أسباب الخلاف الفقهي أن خبر الواحد ربما لم يصل إلى الأكابر، أو وصل إليهم ثم نسوه! فهل هذه القناة المحدودة تصلح مجرى لنقل العقائد الرئيسية التي يهلك من جهلها.

إن من المفروض ابتداءً أن تأخذ هذه العقائد طريقاً مستوعبة شاملة، لا يبقى معها جهل ولا غفلة.

إن أخبار الآحاد تحسبه في عصرنا حديثا صحافيا مع رئيس الدولة، أما مصادر العقيدة والحقوق العامة فهي تشبه الدستور الذي ولد في الساحات العريضة وتيسرت موارده لكل مطلع..

4-المتواتر مصون كلا وجزءاً، أما أخبار الآحاد فقد تضمنت ما رفضه الأئمة والراسخون في العلم، ككون المعوذتين ليستا من القرءان، أو أن سورة الأحزاب كانت في طول سورة البقرة ثم نسخت ...أو أن إرضاع الكبار يحرم كرضاع الصغار، أو أن الغرانيق أصلاً ما- ولو أصلاً ضعيفاً- أو أن الصائم يتناول البرد ولا يفطر.

إن هذه المرويات حبر على ورق عند رجال الإسلام مع ورودها في كتب السنن!![1]"

من خلال هذه النقول يمكن أن نلخص موقف الشيخ محمد الغزالي من أحاديث الآحاد في إثبات العقائد وهذا مؤسس على أمرين:

1/ أن العقائد لابد أن تبنى على اليقين لا على الظن.

2/ وأن أحاديث الآحاد –وأن صحت- لا تفيد اليقين، بل لا يفيد اليقين إلا المتواتر.

1-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،محمد الغزالي،ص57.

«ونصوص القرآن تؤيد الأمر الأول. فإن الله تعالى ذم المشركين بقوله:﴿ ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾[1]»[2] .

وأقوال جمهور –علماء الأصول– : أصول الدين و أصول الفقه، وعلماء الحديث أنفسهم– تؤيد الأمر الثاني واستثنوا ما اختفت به القرائن كأن يكون في الصحيحين وتلقته الأمة بالقبول، وسلم من المعارض، ونازع في ذلك بعض المحدثين الحنابلة. وهذا التوجه في التعامل مع أحاديث الآحاد في العقائد هو الشائع لدى المدارس و الجامعات الدينية الشهيرة في العالم الإسلامي. التي تتبع منهج الأشاعرة والماتريدية في أصول الدين، مثل الأزهر والزيتونة والقرويين[3]،والشيخ خريج الأزهر.ويقول الغزالي في إشارة نظرية إلى قبول خبر الآحاد –على ما يبدوا– إذا ما احتف بالقرائن المرجحة: إذ يقول عليه رحمه الله:« والحق أن حديث الآحاد دليل محترم مالم يكن هناك دليل أقوى منه وأولى بالقبول»[4].وقال أيضا: « وخبر الواحد هنا له احترامه..لأن الملابسات التي تحيط به توفر ضمانات شتى، فإن سفير الدولة إن أخطأ في البلاغ لحقه ألف مصحح، وكذلك المدرس بين تلامذته»[5]، لكن الشيخ وحسب تطبيقاته لا يرى أن ورود الأحاديث في الصحيحين وتلقي الأمة لهما بالقبول قرينة قوية لإفادة اليقين.ويرى الشيخ محمد الغزالي أنه يجب التحلي بالإخلاص لله والإنصاف العلمي في التعامل مع الأخبار النبوية فيقول رحمه الله:« إن إنكار المتواتر من السنة العلمية خروج عن الإسلام، و إنكار المروي من سنن الآحاد لمحض الهوى عصيان مخوف العاقبة» [6].ويقول أيضا:« و إن الولع بالتكذيب لا إنصاف فيه ولا رشد..على أن اتهام حديث ما بالبطلان مع وجود سند صحيح له، لا يجوز أن يدور مع الهوى، بل ينبغي أن يخضع لقواعد فنية محترمة.هذا ما التزمه الأئمة الاولون، وما نرى نحن ضرورة التزامه»[7] فهل التزم الشيخ بما عليه أئمة الصناعة الحديثية إزاء الصحيحين وخبرالآحاد ؟

1–سورة النجم،الآية:28

2– موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية،محمد الغزالي،ص381.

3– المرجع نفسه،ص381

4– دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،محمد الغزالي، ص57.

5– المرجع نفسه،ص58.

6– حوار هادئ مع الغزالي، سلمان بن فهد العوده، ص39.

7– ليس من الإسلام ،محمد الغزالي،ص 35.

المطلب الثالث:نقد موقف الشيخ الغزالي في مسألة خبر الآحاد:

ذهب العلماء في ما تفيده أحاديث الآحاد إلى مذاهب نوجزها في ما يلي:

المذهب الأول: أن خبر الواحد الثقة يفيد العلم اليقين مطلقاً.

قال ابن حزم[1]:« قال أبو سليمان- يعني داود الظاهري-، والحسن بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي، وغيرهم : إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معاً، وبهذا نقول وقد ذكر هذا القول احمد بن إسحاق المعروف بابن خويز منداد عن مالك بن أنس، قلت: هذه من شواذ ابن خويز منداد عن مالك، عما قال ابن حجر في لسان الميزان[2] والصواب: أن مالكاً يرى أنه يفيد العلم بنفسه كما عليه أهل المذهب. وقال به أيضاً أحمد بن حنبل، نقله عن السبكي في جمع الجوامع، والشوكاني في إرشاد الفحول [3] وقال ابن القيم الجوزية: ممن نص على أن خبر الواحد يفسد العلم مالك، والشافعي، وأصحاب أبي حنيفية، وداود بن علي، وأصحابه كأبي محمد ابن حزم...الخ»[4] واختار هذا الرأي من المتأخرين العلامة صديق حسن، وحجتهم أن غالب السنة آحاد والمتواترات قليل جدا لذا وجب العمل بالآحاد.

المذهب الثاني: أنه يفيد العلم اليقيني إذا احتفت به القرائن وهذا مذهب عامة أهل الحديث وكثير من محققي الفقه والأصول والكلام من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة وغيرهم.

قال ابن كثير:«وقفت على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه: أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول (وهي من القرائن) عن جماعات من الأئمة؛ منهم القاضي عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية، وابن حامد وأبو يعل بن الفراء، وأبو الخطاب وابن الزاغوني وأمثالهم من الحنابلة، وشمس الدين من الحنفية، قال : وهو قول أكثر من أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم، كابي إسحاق الإسفرايني وابن فورك قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة » [5]

1- الاحكام في أصول الأحكام،ابن حزم، 112/1.

2-لسان الميزان ،ابن حجر،191/7.

3-المصدر نفسه،191/7.

4-الصواعق المرسلة على الجمهية والمعطلة ،ابن القيم،ص573.

5-مختصر علوم الحديث ،ابن كثير،ص37.

وقال الصنعاني:« قد علم أن خبر الواحد الثقة يفيد الظن، فإذا حفته القرائن أفاد العلم كما قال الحافظ في النخبة وشرحها: وقد يقع فيها- أي أخبار الآحاد المنقسمة إلى مشهور وعزيز وغريب، وهي أقسام الآحاد- ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار»[1] وذلك لأن الصحابة والتابعين أخذوا بأخبار الآحاد.

المذهب الثالث: أن خبر الواحد الثقة يفيد الظن ولا يفيد العلم، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، ولكنه حجة من حجج الشرع يلزم العمل به سواء أكان في العقائد أم غيرها، وممن قال بهذا الرأي الإمام النووي ووافقه الإمام العز بن عبد السلام وهو أيضا رأي قول الإمام ابن عبد البر القرطبي حيث نقل عنه ابن تيمية قوله: « إنه يوجب العمل دون العلم»[2]وقال ابن عبد البر أيضا:« اجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار-فيما علمت-على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به، إذا ثبت أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شر ذمة لا تعد خلافاً»[3] .ومستندهم هو جواز الخطأ والنسيان على الثقة عقلا.

المذهب الرابع: وهو مذهب الخوارج و المعتزلة وهؤلاء لا يحتجون بأحاديث الآحاد لا في العقائد ولا في الأحكام وحجة هؤلاء أن هذه الأحاديث لا تفيد إلا الظن ولا تفيد علما مقطوعاً به لما فيها من احتمال الخطأ والوهم والكذب.

قال الدكتور عبد المهدي:« لقد ظل الإجماع في صدر هذه الأمة على علو مكانة خبر الآحاد، وأنه يفيد العلم ويجب العمل به، ظل الإجماع على ذلك طوال العهد النبوي، وعهد الصحابة، وأجمع عليه التابعون وأئمة الإسلام، حتى جاء المعتزلة، والجهمية، والرافضة، والخوارج، فحاد الكثيرون منهم عن هذا المنهج القويم، وتبعهم بعض الأصوليين ، وبعض الفقهاء»[4] فكان الأمر على قبول أحاديث الآحاد إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني،فكان ذلك بمنزلة الإجماع منهم.

1--توضيح الأفكار،الصنعاني،26/1.

2-المسودة ،آل تيمية،ص 244.

3-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،ابن عبد البر، ص1-3.

4- المدخل إلى السنة النبوية، الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر،ص273-288،بتصرف.

المذهب الخامس: أن خبر الآحاد يفيد الظن فلا يصح الاعتماد عليه في العقيدة وفي الغيبيات أما ما سوى ذلك في الأحكام العملية وغيرها فإنه يجب العمل به، وممن قال بهذا المذهب: بعض علماء الكلام، وقال به جمع من المتأخرين كالنووي وابن عبد السلام وبعض المعاصرين كرواد مدرسة المنار الإصلاحية والشيخ محمد الغزالي رحمه الله...

وذلك لأن الفرد قد ينسى أو يخطئ، فهو بشر وتفاوت كلمات الرواة في نقل حادثة معينة واحدة تبعا لذلك دليل على ذلك ووقوع الخطأ أو النسيان في مرويات الآحاد أمر لا ريب فيه ولذلك من المجازفات الزعم بأن خبر الواحد يفيد اليقين عكس المتواتر المصون كلا وجزءًا [1]

إن من الناحية النظرية ليس هناك استحالة الخطأ والوهم على جميع النقلة ولا بعصمتهم من تعمد الكذب لكن قد يأتي الجزم والتصديق عند ظهور علامات تؤيد ذلك، يقول ابن القيم:« إن الراوي إذا كذب أو غلط أو سها فلا بد أن يقوم دليل على ذلك، ولابد أن يكون في الأمة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحججه وأدلته، ولا تلتبس بما ليس منها»[2].

وقال ابن حزم:« نقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله تعالى به نبيه عليه السلام من بيان شريعة الإسلام لنا غير محفوظ، وأنه يجوز منه التبديل وأن يختلط بالكذب والموضوع اختلاطاً لا يتميز به أبدا، أخبرونا عن إكمال الله لدينه ورضاه الإسلام لنا ديناً ومنعه تعالى من قبول كل دين حاشا الإسلام أكلُّ ذلك باق علينا ولنا إلى يوم القيامة أم إنما كان ذلك الصحابة رضي الله عنهم فقط أم لا للصحابة ولا لنا؟ ولا بد من أحد هذه الوجوه، فإن قالوا: لا للصحابة ولا لنا كان قائل هذا القول كافرا لتكذيبه الله تعالى جهاراً وهنا لا يقوله مسلم وإن قالوا: بل كان كل ذلك باق لنا وعلينا إلى يوم القيامة صاروا إلى قولنا ضرورة»[3] لأن شرائع الإسلام كلها كاملة والنعمة تامة، وأن كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وفي بيان ما يلزمنا محفوظ لا يختلط به أبدا ما لم يكن منه.

ويواصل ابن حزم فيقول: «وان كان ذلك للصحابة رضي الله عنهم وليس ذلك لنا ولا علينا كانوا قد قالوا الباطل، وخصصوا خطاب الله تعالى بدعوى كاذبة إذ خطابه تعالى بالآيات التي ذكرنا عموم لكل مسلم إلى الابد.»[4]

1-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ،محمد الغزالي،ص 57 بتصرف .

2-مختصر الصواعق المرسلة ،ابن القيم الجوزية،ص604.

3-الإحكام في أصول الأحكام، محمد بن حزم الاندلسي، ص119

4-المرجع نفسه ،ص120

وقال الصنعاني : «إن خبر الواحد يفيد الظن،فإذا حفته القرائن أفاد العلم»[1] . والذي يحيط بالقرائن هم نقاد الحديث أهل الصنعة والأصالة في هذا الشأن ولذلك «ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن الأخبار التي حكم أهل الصنعة بصحتها توجب علم اليقين بطريق الضرورة»[2].

إن صدر كلام الصنعاني يوحي أن خبر الآحاد المجرد من القرائن يفيد الظن وهذا هو ذاته خبر الآحاد في أعين جهور العلماء، أي أنه يفيد الظن ولا يفيد العلم ، إلا أن القرائن-كما يذهب إلى ذلك نقاد الحديث- قد ترفع الظن إلى غلبة الظن، وقد ترفع غلبة الظن إلى العلم ،فالعبرة هنا للقرائن لا لمجرد الخبر ،إذ القرائن و الإمارات شيء وخبر الآحاد المجرد شيء آخر.

فخبر الآحاد مفيد للظن لذاته، أما القرينة التي ترجح فهي أمر خارج عن الإسناد ولذا لا يخرج الحديث من الظن إلى اليقين إلا القرائن...ومن تلك القرائن أن يكون الراوي معروفا بجودة ضبط منقولاته من الأخبار،ولم يكتفوا فيه بالعدالة،لأن نقل الحديث النبوي يحتاج ألى دقة كبيرة ضمان دقة النقل وصحته.وهذا أحد أهم الفروق بين الرواية والشهادة،(اللذين يشتركان في العدالة)؛لأن الشهادة في العادة أمر كلي يدخل تحت الحواس مباشرة(رؤية وسماعا)،وليس الشهادة غالبا تفاصيل قول وفعل يجب نقلها بكل دقة.[3]

يقول الإمام الشافعي:«ثم يكون بشر كلهم تجوز شهادته،ولا أقبل حديثه؛من قبل ما يدخل في الحديث من كثرة الإحالة وإزالة بعض ألفاظ المعاني»[4] .

ان موضوع خبر الآحاد له حرارة في الساحة العلمية منذ زمن،حتى أن الإمام البخاري قد عقد كتابا في صحيحه تحت عنوان: (كتاب خبر الآحاد) ويجعل أول باب فيه هو:"باب ما جاء في إجازة خبر الصدوق في الآذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام"[4] ١.

يقول الدكتور حمزة المليباري:«ان معالجة الحديث ينبغي أن تكون على أساس أنه وقع أو لم يقع، وليس على أساس الفرض والاحتمال، فإنه يمكن لنا القول إن في الحديث الصحيح ما يفيد القطع بثبوته،مع كونه خبر آحاد وما يفيد الظن الغالب،وما ما يفيد الظن، وكل ذلك طبعا وفق شعور نقاد

1-توضيح الأفكار،الصنعاني،26/1

2-كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام،البزدوي،371/2

3-الأسس العقلية لعلم نقد السنة النبوية،الشريف حاتم بن عارف العوني،ص45

4-الرسالة،الإمام الشافعي،ص373،رقم1013

الحديث وحدهم، لكونهم مطلعين على القرائن المحتفة به، وفهم دلالتها خفيها وجليها. وأما عدم شعور الآخرين بذلك الشعور فلا يغير الواقع الذي أحس به النقاد، ولذا أصبح العمل بما صححوه واجبا في أمور الدين كلها من غير أن يفرق بين العبادات و العقائد اتباعا لسلفنا الصالح، وهذا: ولقد اشتهر لدى كثير من المنشغلين بعلم الأصول والفقه وبعض متأخري المحدثين ممن تأثروا بعلم المنطق أن الأحاديث لا تفيد إلا الظن لكونها خبر الآحاد،ومن ثم زعموا ضرورة التفريق بين العبادات والعقائد في احتجاجهم بخبر الآحاد، مستندين إلى أن العقيدة ينبغي أن يكون أساسها اليقين.»[1]

ويقول أيضا:«بيد أن الأمر يصطدم بالواقع التاريخي لسلف الأمة؛ فقد ثبت بيقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل إلى جهات مختلفة آحاد الصحابة لدعوة الناس إلى دين الإسلام، العقيدة أولاً، ثم العبادات ثانياً، ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستثني العقيدة مما يبلغ به عن طريق الآحاد، ولم يكن قبول خبر العدل في أمور الدين كلها–وأهمها العقيدة– واجباً في الحالات التي تتوفر القرائن فيها على صدق المبلغ، ما بعثه صلى الله عليه وسلم إلى القبائل والأمم ممن يعيشون بجوار المدينة.»[2]

نعم إن الأمر كله يدور على القرائن المحتفة بالحديث وراويه،وهذا ما يفهم من النص السابق للإمام الشافعي ،إذ قد يكون الشخص الواحد مساوياً لمئات الناس، لما يتوفر فيه من المميزات العلمية والدينية، فإذا تحدث في مجال تخصصه فإن خبره ما يفيد اليقين عند من يعرف ذلك من النقاد.

ولذا إذا نقل العدل التقي الموثوق المعروف بعنايتة بطلب العلم وضبطه حديثاً وافق الواقع أو النص الثابت أو عمل الأمة أو عمل بعضهم ثم أشتهر ذلك الحديث لدى ثقات الحفاظ بعد ملاحظتهم للقرائن فإنه يفيد القطع لدى المحدثين.

خلاصة القول

إن ما أتفق عليه نقاد الحديث على تصحيحه من الأحاديث لا يصح القول فيه انه خبر آحاد لا يفيد إلا الظن، ولا يصلح الاحتجاج به في العقائد وذلك لان ما يشعر به النقاد تجاه تلك الأحاديث يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ولا يعكر صفاءه ما قد ينطوي عليه شعور الآخرين بخلاف ذلك، لأن

1--علوم الحديث في ضوء تطبيقات نقاد الحديث،حمزة المليباري ،ص92-97 بتصرف يسير.

2-المرجع نفسه،ص92.

المحدثين هم الذين يطلعون على جميع أنواع القرائن التي لا تخطر على نفوس آحاد الناس، والتي من شأنها إفادة القطع عندهم بصحة المروي أو إفادة الظن الذي يطمئنون به، وذلك لذوقهم الحديثي وممارستهم للسنة النبوية بحيث يستطيعون تمييز قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الأقوال الأخرى وما علينا سوى التسليم لهم.

من خلال نصوص العلماء والباحثين في المسألة يمكن أن نقول:"

1/أن سلف الأمة لم يكن يفرق بين حديث الآحاد وغيره في العقيدة فإن هذا التقسيم طرأ بعد القرن الأول–أعني بعد عصر الصحابة وكبار التابعين–ذلك لأن: الصحابة وكبار التابعين لم يكونوا يفرقون بين المتواتر والآحاد من الأحاديث النبوية، إنما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندهم بدرجة واحدة.

2/ان الذين قالوا بعدم حجية حديث الآحاد في العقائد قد فتحوا الباب على مصراعيه لأعداء الإسلام من المستشرفين وتلاميذهم المستغربين الذين تلقفوا تلك الأفكار وبنوا عليها شبهاتهم للطعن في السنة ورواتها.

3/الشيخ الغزالي رحمه الله في موقفه من خبر الآحاد وافق أقوال رواد مدرسة المنار وبعض أهل العلم.

4/ أن القول الصحيح أن أحاديث الآحاد يعمل بها في الأحكام والعقائد وإلا يترتب عليه رد مئات الأحاديث الصحيحة لمجرد كونها في العقيدة والأحكام[1]" حتى لو كانت في الصحيحين والتي تفيد العلم –عند الأكثرين– لتلقي الأمة لها بالقبول.

1–موقف الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي من السنة النبوية للدكتور محمد سيد أحمد شحاتة،ص:241.بتصرف .

الفصل الثّالث:

نماذج تطبيقية لآراء الشيخ الغزالي في بعض نصوص السنّة النبوية.

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **المبحث الثاني:حديث"لولا حواء لم تخن أنثى".**
- **المبحث الثالث:حديث الذبابة.**

كثيرة هي تلك هي الأحاديث التي ثار حولها الجدل ، وأثيرت عليها الشبه من قديم الزمان إلى يومنا هذا وخاض فيها الخائضون وتناول دراستها والتحقيق فيها الباحثون والدعاة كشيخنا الإمام محمد الغزالي –رحمه الله–: ومن تلك الأحاديث: أحاديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم وحديث "لولا حواء لم تخن أنثى" وحديث " الذبابة" وغير ذلك...

المبحث الأول: حديث "سحر النبي صلى الله عليه وسلم"

المطلب الأول:نص الحديث وموقف الغزالي منه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: "أشعرتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب[1]؟ قال: ومن طبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم [2] قال: في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاطة وجُفّ [3]؛ قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان[4]، فخرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع:" نَخلها كأنها رؤوس الشياطين"، فقلت: استخرجته؟ فقال: " لا أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً، ثم دُفنت البئر» واللفظ للبخاري. وروي روايات أخرى في كتب السنة.

1-مطبوب: أي مسحور ،فتح الباري، 228/10.

2-لبيد بن الأعظم الزرقي: وهو يهودي ،غوامض الأسماء المبهمة ،659/2.

3-جفّ: هو وعاء طلع النحل ،شرح النووي على صحيح مسلم ،177/14.

4-ذروان: بئر في بني زريق، فتح الباري ،299/10.

هذا الحديث أخرجه البخاري[1]، و مسلم[2]، وابن ماجة[3]، والنسائي[4] وأحمد [5،6]

يقول الشيخ الغزالي في هذا الحديث وأحاديث السحر:« وقد أنكر الشيخ محمد عبده أحاديث سحر الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كانت من رواية البخاري، لأنها غضاضة غير لائقة بمكان النبوة، ولو ساغ أن هذا التخييل يؤثر في النفوس الضعيفة، فكيف يقوى يهودي على التأثير في أقوى نفس بشرية، وهي نفس الرسول صلى الله عليه وسلم، وما معنى القول أن هذا التأثير في أعضائه لا في روحه مع أن السحر يعتمد على قوى خفية في زعم مثبته لا على وسائل مادية، وإذا صح هذا فلما لا يصح قول المشركين: ﴿ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أُنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلواّ فلا يستطيعون سبيلاً﴾ [الفرقان][7] »[8]

ويقول أيضاً منتصراً لشيخه الإمام محمد عبده:« وقد شعرت بالغيظ والحرج وأنا أقرأ أن يهودياً وغداً سحر النبي –عليه الصلاة والسلام– وأعجزه عن مباشرة نسائه مدة قدرها ابن حجر بستة شهور! أكذلك تنال القمم؟، قالوا: كما يستطيع سفيه أن يقذفه بحجر أو كما يستطيع مجرم أن يصيبه بجرح! وهنا اعتذار مرفوض،فإن السحر تسلط على الإرادة والفكر، وهذا مستحيل، لا سيما و الوسيلة تسلط أرواح شريرة، أو بعض الجن على الجهاز العصبي للإنسان، فيوقعه في اضطراب

1–في كتاب بدء الخلق– باب صفة إبليس وجنوده(1192/3) برقم(3095)، وفي كتاب الطب– باب السحر(5/ 2174) برقم (5430)، وفي كتاب الطب–باب هل يستخرج السحر، وفي كتاب الأدب ن وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر (2252/5) برقم (5716)، وفي كتاب الدعوات– باب تكرير الدعاء (2347/5) برقم (6028).

2–في كتاب السلام– باب السحر (1719/4) برقم (2189).

3– في كتاب الطب– باب السحر (1173/2) برقم (3545).

4– في السنن الكبرى– كتاب الطب– باب السحر (380/4) برقم(8615).

5– في مسنده(58/6) برقم (24345)، وفي (63/6) برقم (24392)، وفي (96/6) برقم (24694).

6–وقد روى هذا الحديث بمعناه عن زيد بن أرقم أخرجه: النسائي في كتاب تحريم الدم– سحرة أهل الكتاب– (112/8) برقم (4080)، وفي السنن الكبرى– كتاب تحريم الدم– سحرة أهل الكتاب (308/2) برقم (3543)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده(368/4) برقم (19286)، وعبد بن حميد في مسنده (115/1) برقم (271)، والطبراني في معجم الكبير (180/5) برقم (5016)، وقال الهيثمي: رواه النسائي باختصار ورواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح، 'المجمع 281/6'.

7–سورة الفرقان،الآية:8–9

8–الإسلام والطاقات المعطلة، ص59–60، وأنظر: علل وأدوية ص 75، وأنظر: كيف نتعامل مع القرآن،ص204.

وحيرة؛ وقد سرني أن الشيخ محمد عبده رفض هذا الحديث، وساءني أن الرجل الضخم أُتهم في دينه هذا الموقف المعظم لقدر الرسول، وسمعة الشيخ محمد أحمد عثمان رحمه الله، وكان وكيلاً للجمعية الشرعية في مصر يقول: إن في سند حديث السحر مقالاً، فقلت له: لست من علماء هذا الفن، وكل ما لاحظت على السند أن يجعل نزول المعوذتين في المدينة، وهما في "علوم القرءان" وعند كتاب المصاحف نزلتا بمكة».[1]

رد الشيخ الغزالي حديث السحر رغم تصحيح البخاري ومسلم وغيرهما لهذا الحديث منتصراً لشيخه محمد عبده وغيره من الذين يحكمون العقل في كل شيء معتمدين على أموراً منها:« إن الحديث وإن رواه البخاري ومسلم فهو حديث آحاد فلا يؤخذ به في العقائد وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد فلا يؤخذ في إثبات ما يخالفها إلا باليقين كالحديث المتواتر، ولا يكتفي في ذلك بالظن، وإن الحديث يخالف القرآن الكريم الذي هو متواتر ويقيني في نفي السحر عن النبي صلى الله عليه وسلم ،حيث نسب القول بإثبات السحر له إلى المشركين ووبخهم على زعمهم هذا،قال الله تعالى:﴿ وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾[الفرقان][2]»[3] .

المطلب الثاني:مناقشة موقف الغزالي في موقفه من حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول أبو شهبة:« إن الأخذ بالحديث الصحيح وعدم رده وتأويله بما يوافق العقل، والنقل المتواتر مذهب جماهير العلماء سلفاً وخلفاً، ورد الأحاديث الصحيحة لأدنى شبهة، ولتوهم من مخالفتها للعقل، أو القرآن، أو العلم ليس من التحقيق العلمي في شيء»[4]. ويقول أيضا:« إن الذين صححوا حديث السحر كالبخاري و مسلم وغيرهما من أهل الحديث وكل ما جاء بعدهم من أهل العلم قالوا: إن ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم نوع من الأمراض الجسمانية والعوارض البشرية التي تجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد رُوي الحديث من طرق عدة في الصحيحين وغيرهما.

1-السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث،ص 76- 77.

2-سورة الفرقان،الآية:8-9

3- دفاع عن السنة النبوية ،محمد أبو شهبة، ص359.

4- المرجع نفسه،ص359.

وعن غير واحد من الصحابة منهم: عائشة، وابن عباس، وزيد بن الأرقم وغيرهم مما يبعد عنهم احتمال الغلط أو السهو أو الكذب» [1] .

قال القاضي عياض:« فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح، متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها، إلى التشكيك في الشرع، وقد نزَّه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع المرض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته،أو يقدح في صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا، وإنما يجوز طرؤه عليه أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل على أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضاً فقد فسر هذا الفضل الحديث الآخر من قوله"يُخَيّلُ إليه أَنّهُ يَأْتي أهله ولاَ يَأْتيهِنّ"، وقد قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله وما فعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات»[2].

وقال عبد الرحمن المعلمي:« ومحصل ما روي في هذا أن لبيداً أراد إلحاق ضرر بالنبي صلى الله عليه وسلم فعمل عملا في مشط ومشاطة....إلخ، فهل من شأن ذلك أن يؤثر، قد يقال: لا، ولكن إذا شاء الله تعالى خلق الأثر عقبه، والأقرب أن يقال: نعم بإذن الله، والإذن هنا خاص، وبيانه أن الأفعال التي من شأنها أن تؤثر ضربان:**الأول**: ما أذن الله تعالى بتأثيره إذناً مطلقاً ثم إذا شاء منعه، وذلك كالاتصال بالنار مأذون فيه بالإحراق إذناً مطلقا فلما أراد الله تعالى منعه،قال:﴿يا نارُ كوني بَرْداً وسَلاماً على إبراهيمَ﴾[3]؛ الضرب **الثاني**: ما ممنوع من التأثير منعا مطلقا، فإذا اقتضت الحكمة أن يمكن من التأثير رفع المنع فيؤثر، وقوله في السحر: ﴿ وما هم بضارِينَ بهِ من أحد إلا بإذْن اللهِ﴾[4] يدل أنه من الضرب الثاني وأن المراد بالإذن، الإذن الخاص، والحكمة في مصلحة الناس تقتضي هذا، والواقع في شؤونهم يشهد له، وإذا كان هذا حاله فلا غرابة في خفاء وجه التأثير علينا.

1-دفاع السنة النبوية ،محمد أبو شهبة ،ص: 359.

2-إكمال المعلم،القاضي عياض،87/8

3-سورة الأنبياء،الآية:69

4-سورة البقرة،الآية:101

وأجاب الشيخ المعلمي عن كلام الشيخ محمد عبده (ومن كان له نفس الموقف كتلميذه شيخنا محمد الغزالي)،فقال: وفيه ثلاث قضايا:[1]

القضية الأولى: قال (فعلى صحته هو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد).

أقول: أما صحته فثابتة بإثبات أئمة الحديث لها، فإن أراد الصحة في نفس الأمر فهب أنا لا نقطع بها ولكنا نظنها ظناً غالباً، وعلى كلا الحالتين فواضعو تلك القاعدة لا ينكرون أنه يفيد الظن، ومن أنكر ذلك فهو مكابر، وإذا أفاد الظن فلا مفر من الظن وما يترتب على الظن، فلم يبق إلا أنه لا يفيد القطع، وهذا حق في كل دليل لا يفيد إلا الظن.

القضية الثانية: أنه مناف للعصمة في التبليغ، قال: فإنه قد خالط عقله و إدراكه في زعمهم، فإنه إذا خولط في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا ينزل عليه وهو لم ينزل عليه.

أقول: أما المتحقق من معنى الحديث كما قدمنا في المقام الأول، فليس فيه ما يصح أن يعبر عنه بقولك: خولط في عقله، وإنما ذاك خاطر عابر ولو رفض أنه بلغ الظن فهو في أمر خاص من أمور الدنيا، لم يتعده إلى سائر أمور الدنيا فضلاً عن أمور الدين، ولا يلزم من حدوثه في ذاك الأمر جوازه في ما يتعلق بالتبليغ؛ بل سبيله سبيل ظنه أن النخل لا يحتاج إلى التأبير، وظنه بعد أن صلى ركعتين أنه صلى أربعاً وغير ذلك من قضايا السهو في الصلاة، وفي القرآن ذكر غضب موسى على أخيه هارون وأخذه برأسه لظنه أنه قصر، مع أنه لم يقصر، وفيه قول يعقوب لبنيه لما ذكروا له ما جرى لابنه الثاني:﴿ بلْ سوّلت لكُمْ أَنفُسكُم أمراً ﴾ [يوسف][2] يتهمهم بتدبير مكيدة مع أنهم كانوا حينئذ أبرياء صادقين.

القضية الثالثة:الحديث مخالف للقرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم وعده افتراء المشركين عليه، مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون :إن الشيطان يلابسه صلى الله عليه وسلم ،وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم،وضرب من ضروبه،وهو بعينه أثر السحر

1-الأنوار الكاشفة،المعلمي،ص249

2-سورة يوسف،الآية:17

الذي ينسب لبيد...وقد جاء نفي السحر عنه عليه السلام ،حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذاً هو ليس بمسحور قطعاً. »[1]

قال الشنقيطي:«هذا الحديث الصحيح الذي هو أعلى درجات الصحة السبع،لاتفاق الشيخين عليه وغيرهما غير لنص القرآن الذي هو قوله تعالى إخبارا عن قول الكفرة ﴿ان تتبعون إلا رجل مسحورا﴾ [الفرقان][2] لأن المراد به عندهم أنه مجنون،فهو كقولهم ،إن هو إلا هو إلا رجل مجنون ،وحشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك...»[3] .

بعد عرض مقتضب لأقوال وتوجيهات بعض العلماء والباحثين،يتبين ان لا تعارض بين الحديث والقرآن،ولا بين النص النبوي ومقام النبوة عقلا وشرعا ،لأن السحر الذي أصيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر في بدنه لا في عقله،فهو بشر ونبي ، وبالتالي شيخنا الغزالي تعجل في رد الحديث، لأنه أحاديث آحاد ويخالف في منظوره القرآن والعقل،ولم يأبه بإخراج البخاري ومسلم له.

1-الأنوار الكاشفة،المعلمي،ص249

2سورة الفرقان،الآية:8

3-زاد المسلم،الشنقيطي،222/4

المبحث الثاني:حديث" لولا حواء لم تخن أنثى"

المطلب الأول:نص الحديث وموقف الغزالي منه

عن أبي هريرة رضي الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه،يعني:«لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم،ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»[1].وفي رواية عند مسلم:«ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[2].

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:« وقد جاءني في الحديث:" وقد جاء في الحديث: "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" فقلت له [لمن تحدث معه عن ضرب المرأة]: ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة. هذا من أكاذيب التوراة؛ والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه، لكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبة أمام سيرة الدعوة الإسلامية».[3]

قال العلامة يوسف القرضاوي عندما سئل عن هذا الحديث:«الحديث هو يقول "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها !"هذا ليس له دليل من القرآن أبداً. القرآن يقول إنهما أكلا ﴿ فأكلا منها فبدَت لهُما سوآتهما...﴾ [سورة طه][4](فأكلاَ معاً)، أو أن آدم هو الأساس لأن في سورة طه﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزْماً ﴾[سورة طه][5] ...هذه توراتية إسرائيلية أن حواء هي التي زينت لآدم الأكل، أبداً ليس في القرآن هذا قط ولا يوجد، ولذلك يعني شيخنا الشيخ الغزالي توقف و أنا معه في هذا...أنا أرى هذا الحديث فيه علة أن نصفه الأول مخالف لقوانين الطبيعة التي حكم الله بها هذا الكون والثاني مخالف القرآن فلذلك من حقنا أن نتوقف في قبوله».[6]

1-رواه البخاري،كتاب أحاديثالأنبياء،باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته رقم 3152

2- رواه مسلم،كتاب الرضاع،باب:لولا حواء لم تخن أنثى زوجها،رقم(1470)

3- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص202-203.

4- سورة طه، الآية 118.

5- سورة طه، الآية 112.

6- النساء في القرآن،يوسف القرضاوي (حصة تلفزيونية)

المطلب الثاني:مناقشة الغزالي في موقفه من حديث"لولا حواء لم تخن أنثى"

إن الطعن بسند الحديث بصورة غير مباشرة واضح من قول الشيخ الغزالي رحمه الله(هذا من أكاذيب التوراة) رغم أن الحديث مروي من طريق معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة الذي قيل فيه أنه أصح أسانيد اليمانيين[1] وهو مروي في البخاري ومسلم أي هو مما اتفق عليه الشيخان. وليس هناك دليل علمي على أن في الحديث عبارات منقولة من التوراة كما يذهب إلى ذلك الشيخ الغزالي وغيره أما ما يتعلق بالمتن فلقد قال بن حجر: « وقوله:" لم تخن أنثى زوجها" فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة، ونزع العرق، فلا تكاد إمرة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا، ارتكاب الفواحش حاشا وكلاّ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، و أما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحد منهن بحسبها»[2]

قال الدكتور ياسر الشمالي:« إن هناك كثيراً من نصوص القرآن موافقة للتوراة، فهل يعني ذلك أن نرد نصوص القرآن؟ ثم لماذا لا نستدل بصحة الحديث على صحة ما جاء في التوراة موافقا له ؟إنما نجزم بأن الشيء في التوراة محرف إذا جاء في شرعنا ما يصادمه أو يكذبه»[3].

ولعل من أجمل التوجيهات والتأويلات التي تحفظ هيبة الصحيحين من الرد المستعجل،توجيه الدكتورة نماء محمد البنا:« بالنسبة للشطر الأول من الحديث وهو الكلام عن فساد اللحم،فالحديث يبين طبيعة من طبائع بني إسرائيل اشتهروا بها في واقع الحال، وهذه الطبيعة لم تنفك عنهم في يوم من الأيام،وهذه الطبيعة هي حبهم للمال وللكنز والإدخار وتفضيلهم فساد ما يكنزون على أن يفيد منه غيرهم، أيا كان على الغير، فالحديث لا يبين ولا يشير إلى أنهم سبب وجود البكتيريا التي تفسد اللحم، فهذا فهم مغلوط للنص وإنما يبين طبيعة اختصوا بها عن غيرهم وهي كما ذكرت حبهم للكنز والإدخار؛ حتى أنهم يدخرون ما لا يصح ادخاره كاللحم الذي يفسد، ويبدوا- والله

1- معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري،ص:55

2- فتح الباري ،368/6

3- تم النشر على منبر الرأي (http//www.manbaralrai.com

أعلم–أن ما كان معهوداً في زمنهم أن الناس كانت تذبح، ثم إذا زاد عن حاجتهم شيء إما أعطته لآخرين ، أو تركته للحيوانات والسباع، ولا يوجد عندهم مبدأ ادخار اللحوم أصلاً، حتى جاء بنو إسرائيل وادخروا ما لم يدخر قبلهم، وما يفسد من الادخار وهو اللحم، أي أنهم هم الذين سنوا سنة سيئة هي ادخار اللحم وفساده لعدم إتاحة الفرص لغيرهم للانتفاع به. ونظرة سريعة لواقع حالنا، وما نعايشه نحن بالذات من تاريخ طويل مع هؤلاء نجد قناعة تامة بهذا الحديث وما ذكره من صفات لبني إسرائيل، وأن هذا شأنهم إلى الآن. ففساد ونتن ما لا يحتاجونه مما ينتفع به غيرهم، أحب إليهم من أن ينتفع به غيرهم والله أعلم»[1]

وتذهب الكاتبة إلى أن توجيه الكثير من الشراح والمفسرين، كان بناء على ما ورد من إسرائيليات تتعلق بخروج آدم وحواء من الجنة، وهو الأمر الذي أُشكل في هذا الحديث، والذي جعل المنافحين عن الدين يرفضون الحديث كما هو الأمر عند شيخنا الغزالي رحمه الله.

أما الشطر الثاني من الحديث فهو يدل أن الإسلام جعل للمرأة دورا رساليا خطيرا وبالذات في أسرتها، وبالأخص مع زوجها، فهي ليست تابعة له بكل أفعاله بل هي صاحبة دور رسالي تلتزم بداية بما تمليه عليها رسالتها قبل أي شيء آخر، وهنا كان ينبغي للمرأة الرسالية(لحواء الرسالية) أن تتنبه لدورها وتقوم بواجبها الرسالي وهو نصيحة الزوج بعدم الأكل ،فلما قدر الشيطان على حواء أيضاَ ووسوس لها، تنحّت عن دورها الرسالي، واتبعت الرغبات والأهواء بنزعة أنثوية لا رسالية، ولم تقم بواجبها في النصح ،اعتبر هذا الأمر خيانة منها ،فالمرأة الرسالية هي خاضعة لتعاليم رسالتها قبل خضوعها لرغباتها أو رغبات زوجها، وأنها حين تطيعه تطيعه فيما كان موافقاً لأهداف وغايات رسالتها، وتخلي المرأة عن دورها الرسالي عده الرسول الكريم خيانة،والله تعالى أعلم[2].

يبدوا أن المسلك الذي سلكته الدكتورة نماء في التعامل مع هذا الحديث هو أقرب للصواب– والله أعلم– ،فهو من جهة يعلي من مكانة الصحيحين ويصون ما اتفق عليه نقاد الحديث فيهما ،ومن جهة أخرى يثري الحقل الحديثي بتوجيهات تنسجم مع القرآن ولا تخالف المنطق والعقل والواقع ليس كما توهم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ومن اتخذ نفس الموقف قبله وبعده.

1-حديث ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها،نماء محمد البنا،ص25

2-المرجع نفسه،ص29،بتصرف

المبحث الثاني : الصحيحان وموقف الغزالي منهما

المطلب الاول : الصحيحان ومكانتهما

إن إطلاق مصطلح الصحيحين على كتابي البخاري والمسلم أول خصوصية لهما، قال ابن حجر:« ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين»[1] .و ذلك نظرا لتميزها عند علماء الحديث عن باقي كتب الحديث . وبالرغم من كثرة المصنفات في الحديث وتنوع طريقة التصنيف والموضوع ، إلا أن الظرف والزمان والواقع والموضوع قد اعطى إضافة نوعية لصنيع الشيخين،ولا يكاد يخلو كتاب أو بحث يصنف في العلوم الإسلامية إلا ويستشهد بالصحيحين ، سواء في الرواية أو الاستدلال ، فمثلا يذكر المؤلف (وفي الصحيحين حديث كذا) أو (أخرجه الشيخان) ، أو ما شابه ذلك ، أما ما يتعلق بذات الصحيحين من أحكام فقد اختص به المحدثون و الأصوليون ،وقد عنون بعض المحدثين (حكم الصحيحين) لذكر مزاياهما ، كالعراقي في ألفيته ، والصنعاني في توضيح الأفكار.

لقد كثر الثناء على الإمامين من كثير من شيوخها وأقرانهما وتلاميذهما وكل من جاء بعدهما.

قال الإمام النووي في مقدمة شرحه لمسلم :« اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد الكتاب العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث »[2]

1-مقدمة فتح الباري،ابن حجر العسقلاني،ص 381

- شرح النووي لصحيح مسلم،ص 14 .الشاملة .الإصدار الثاني 2

لقد اجتمع في صنيع الشيخين الابتكار و الحرفة و المهارة والإتقان، فولد هذه الخصائص التي تصدر بها الصحيحان على بقية المصنفات الأخرى. ومن تلك الخصائص:

- سبق الشيخين تجريد الحديث الصحيح المسند في التصنيف:

قال ابن الصلاح:« أول من صنف الصحيح البخاري....وتلاه مسلم»[1] .

وقال ابن الكثير :« أول من اعتنى بجمع الصحيح البخاري ،وتلاه صاحبه وتلميذه مسلم بن الحجاج النيسابوري .فهما اصح كتب الحديث»[2]

-أصح كتب الصحيح:

قال الإمام البخاري :«ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يطول »[3] ،وقال الإمام مسلم :« ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا؛ -يعني في كتابه الصحيح – إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه »[4] .

لقد نص العلماء بلا منازع على أن أصح كتب الحديث الصحيحان.قال ابن الصلاح:« وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[5] .

- تلقي الأمة لهما بالقبول:

قال الطاهر الجزائري موضحا مذهب البعض في فائدة تلقي الأمة لهما: «وقال بعضهم إن تلقي الأمة لهما بالقبول من جهة كون ما فيهما من الأحاديث أصح مما سواهما من الكتب الحديثية»[6] .

1-مقدمة ابن الصلاح،ص2

2-الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث،ص 2

3-مقدمة فتح الباري،ص5

4- مقدمة ابن الصلاح ،ص 20

5- المصدر نفسه،ص10.

6-توجيه النظر إلى أصول الأثر :322/1

وقال الامام النووي :-رحمه الله- «وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثها»[1] .

يقول الدكتور حمزة المليباري:«صحيح البخاري ومسلم ومصدران للأحاديث الصحيحة ،وإذا روى كل منهما في أصل الصحيحين حديثا فذلك يفيد بذاته صحته،وهذا هو الأصل الغالب، غير أنه قد يورد كل منهما بعض الأحاديث أو بعض الروايات التي لم يتوفر فيها شروط الصحيح ،أو فيها خلل يمنع صحتها،وذلك لأغراض علمية، منها فقهية وإسنادية ونقدية، وقد يذكر الإمام البخاري هذه الأنواع معلقة، بينما الإمام مسلم في الغالب يوردها في أواخر الأبواب...»[2] .

1-تهذيب الأسماء والصفات، النووي ،ص 100. الشاملة.

2-علوم الحديث في ضوء تطبيقات نقاد الحديث،حمزة المليباري،ص100.

المطلب الثاني: موقف الشيخ الغزالي من الصحيحين وأحاديثها

إن الذي أخذ على الشيخ، وكتب فيه الكاتبون،ورده المرددون،و شنع به المشنعون ، هو رده لبعض الأحاديث الصحيحة من أحاديث الآحاد والتي تخالف – في نظره- ظاهر القرآن أو لا يتقبله عقله حتى ولو كانت هذه الأحاديث في الصحيحين وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول؛ بل راح يتهم في معرض رد بعض تلك الأحاديث ،أهل الحديث بأنهم اعتنوا الأسانيد وأهملوا نقد المتون وفقهها ومعانيها.

يقول الشيخ الغزالي –حمه الله- : «انظر موقف عائشة رضي الله عنها ، عندما سمعت حديث : " إن الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه"،لقد انكرته وحلفت أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله، وقالت – بيانا لرفضها إياه- أين منكم قول الله تعالى –سبحانه- :﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام][1] ،إنها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة ، ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتا في الصحاح »[2] و رفض حديث :" لا يقتل مسلم بكافر"[3] مع صحة سنده وإخراج الإمام البخاري له، لأن المتن معلول بمخالفته لنص القرآني ﴿النفس بالنفس﴾ [المائدة][4].

ورد الشيخ الغزالي حديث الذبابة رغم تصحيح البخاري وغيره له لأنها تخالف عقله؛ فهو معتز بعقله ايما اعتزاز ، فإذا رأى حديثا صحيحا لكنه لم ينسجم مع تصوره وفكره سارع إلى رده،يقول الشيخ الغزالي :« إن بعض علماء الحشرات قرر أن هذه الحشرة تفرز الشيء والشيء المضاد له، فإن استقر هذا الرأي فالحديث صحيح.. وإن ثبت قطعا أن الذباب مؤذ في جميع الأحوال التي تعرض له ومن بينها الحالة المروية للحديث، رددته دون غضاضة، وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني»[5] .

1 –سورة الأنعام،الآية: 64

2–السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث،ص21–24،ينظر:دستور الوحدة الثقافية،ص54،و كيف نتعامل مع القرآن ص155.

3–صحيح البخاري،كتاب الديات،باب العاقلة،رقم 6517.

4–سورة المائدة،الآية:45

5–قذائف الحق،محمد الغزالي،ص3.

وتابع الشيخ رحمه الله شيخه الإمام محمد عبده في رده لحديث السحر على الرغم من وجود الحديث في صحيح البخاري معتمدا على العقل وما بدا له من مخالفته للآيات القرآنية فيقول :« وقد أنكر الشيخ محمد عبده أحاديث سحر الرسول (ص) ،وإن كانت من رواية البخاري »[1]

وقال أيضا –رحمه الله– :«وقد سرني أن الشيخ محمد عبده رفض هذا الحديث»[2] .

أما أن العلماء اعتنوا بالسند ولم يعتنوا بالمتن وفقهه ومعانيه فيقول:« إن المحدثين– إلا قليلا– اهتموا بالأسانيد أكثر من المتون وشغلتهم العنعنة عن الفقه الرحب فلم يحسنوا تقرير الأحكام والمصالح»[3]

والحقيقة أن ما رده الشيخ الغزالي من هذا النوع –أحاديث الصحيحين– ردا صريحا ليس بكثير ، إنما هي أحاديث قليلة جدا و محدودة ولم يردها لهوى في نفسه، ولا لوهن في دينه ، ولا لتنكر للسنة ، ولا لتنقص للوحي، بل حرصا على الدين نفسه أن يجد العلمانيون واللادنيون فيه ثغرة ينفذون منها للطعن فيه والتشكيك في قضاياه ، وتوهين أصوله[4] .

1–علل وأدوية،محمد الغزالي،ص75

2–السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث،ص76–77.

3–دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،ص78–79.

4–موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية،الدكتور يوسف القرضاوي،ص384

المطلب الثالث:نقد موقف الشيخ الغزالي من رده لبعض أحاديث الصحيحين:

إن الشيخ الغزالي –رحمه الله– لم ينتبه أن علماء الحديث قد فرقوا بين خبر الآحاد خارج الصحيحين وخبر الآحاد في الصحيحين ؛ بل راح يرده ولا يقبله في العقيدة ولم يعبأ بأقوال جماهير العلماء من السلف و الخلف الذين ذهبوا إلى أن خبر الآحاد إذا تلتقه الأمة بالقبول تصديقا له وعملا بموجبه أفاد العلم ، وعلى هذا المذهب الصحيح أهل العلم قاطبة، ومن أنواع خبر الآحاد التي تفيد العلم، الخبر المحتف بالقرائن أو ورود تلك الأخبار في الصحيحين لإتفاق نقاد الحديث على تلقي الأمة لهما بالقبول ،وهو "ما حكم المعصوم بصحته ضمنا"[1].

قال الشوكاني في إرشاد الفحول :« ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم وصدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له، ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم،فإن الأمة تلقت ما فيهما بالقبول، ومن لم يعمل بالبعض من ذلك فقد أوله ،و التأويل فرع القبول »[2] .

قال الإمام النووي:«وقال الشيخ أبو عمرو –رحمه الله– في جزء له: " ما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه، فهو مقطوع بصدق مخبره ثابت يقينا، لتلقي الأمة ذلك بالقبول، وذلك يفيد العلم النظري ، وهو في إفادة العلم كالمتواتر إلا أن المتواتر يفيد العلم الضروري، وتلقي الأمة بالقبول يفيد العلم النظري ، وقد اتفقت الأمة على أن ما اتفق البخاري ومسلم عل صحته، فهو حق وصدق، وقال الشيخ في علوم الحديث : قد كنت أميل إلى أن ما اتفقا عليه فهو مظنون وأحسبه مذهبا قويا، وقد بان لي الآن أنه ليس كذلك وأن الصواب أنه يفيد العلم، وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثرون ؛ فإنهم قالوا: أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن ، فإنها أحاد والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما ، وهذا متفق عليه، فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ولا تفيد إلا الظن فكذا الصحيحان ،وإنما يفترق

1-توضيح الأفكار،الصنعاني،94/1.

2-ارشاد الفحول،الشوكاني،94/1.

الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج الى النظر فيه بل يحب العمل به مطلقا وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر ، وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم»[1] .

يقول المليباري:«وكتاب الشيخ الغزالي –رحمه الله– "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث" ترك في المجتمع– لاسيما طبقة المثقفين– أثرا سيئا فيما يخص المحدثين النقاد ومنهجهم في التصحيح والتضعيف ، فأصبح الاعتقاد أن المحدثين النقاد لم يعولوا في النقد إلا على أحوال الرواة وظواهر السند مبدأ راسخا يبنون عليه مواقفهم وأعمالهم بل أدى ذلك إلى بروز العقلانيين في مجال السنة بمنهج غريب قائم على استعجال المقارنة وبث الحكم ، تطاولهم على النقاد المحدثين ... وكل ذلك من أجل تضعيف الأحاديث التي لم تهضمها ثقافتهم، ولم يمنعهم من ذلك كونها مما تلقته الأمة بالقبول...وربما يتحمس هؤلاء الكتاب إلى الإدلاء بآرائهم في مجال الحديث تصحيحا وتعليلا أو تفسيرا وتأويلا، حرصا منهم على تنزيه سنة التي صلى الله عليه وسلم مما يعتقدونه دخيلا فيها بناء على زعمهم بأن النقاد قصروا في النقد واعتمدوا فيه على السند دون المتن ، فتراهم يضعفون من الصحيحين كل ما يرونه مشكلا، ولم يمنعهم من ذلك كونه مما تلقته الأمة بالقبول عبر القرون الماضية»[2]

إن الشيخ الغزالي لم ينكر دقة الشروط التي وضعها علماء الحديث الكبار لتمييز الصحيح والحسن والضعيف ، بل قال بصريح العبارة : إني أنزل وينزل غيري عندها؟ فهي شروط جامعة مانعة ، لو نظر فيها رجل مادي لارتضاها في ضبط الأخبار وتأصليها[3] ،إلا أنه ينكر ويرد بعض الأحاديث حتى ولو كانت في الصحيحين لثلاثة أسباب :

- ✓ لعدم رسوخه وتخصصه في علوم الحديث ،وما كان معه من علم في هذا الفن فهو على ما يبدوا على طريقة المتأخرين المؤسسة على التصحيح والتعليل بناء على ظواهر السند.
- ✓ موقفه السابق من أحاديث الآحاد والتي في نظره تفيد الظن ولا يعمل بها في العقائد كما رأينا ، فيرد الأحاديث الصحيحة حتى ولو اقتنع البخاري ومسلم بصحتها وتبعهما في ذلك

1-شرح النووي عن صحيح مسلم ،20/1.

2-الدراسات الحديثية المعاصرة ،الدكتور حمزة المليباري،ص263.

3-علل وأدوية،محمد الغزالي،ص71.

أئمة النقد،والصواب —والله أعلم– أن ما اتفق عليه أئمة النقد على تصحيحه من أحاديث البخاري ومسلم يفيد اليقين والقطع بخلاف تلك الأحاديث القليلة التي تنازع الأئمة فيها كالدارقطني وغيره.

- ✓ ظنه أن نقاد الحديث اعتنوا بنقد الأسانيد دون المتون وفقهها وأن بعض المتون التي صححوها تخالف العقول والمتواتر من المنقول...ولذا تراه يصحح ويعلل بدلهم،إلا أن شبهه في نقاد الحديث تبدوا ضعيفة،لأن من علوم الحديث ما يتناول المتون كالمعلل والموضوع والمدرج والمنكر والمضطرب والمصحف وغيرها من الأنواع الناتجة عن مقارنة المرويات وسبرها إذ الهدف رصد الأوهام والأخطاء التي قد يقع فيها الثقة الضابط، واكتشاف كل ما يخل بصحة الحديث ونسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم... كما أن النقاد (كعلي بن المديني والبخاري ومسلم وسفيان بن عيينة وغيرهم)كانت لهم دراية بفقه المتون ومعانيها فتراهم يؤلفون مصنفاتهم على الأبواب الفقهية كصنيع الإمام البخاري في صحيحه والأئمة الأربعة في السنن،ويترجمون لتلك الأبواب بما يفهمونه من أحاديث الباب من أحكام وحكم،بل ويبينون الاختيارات الفقهية للعلماء ويعقبون عليها بعد كثير من الأحاديث التي يخرجونها في مصنفاتهم كما يفعل الإمام الترمذي في علله في آخر السنن،وعناية المحدثين من البداية ظاهرة بمشكل الحديث ومختلفه والذي لا يبرع في ذلك إلا المتبحر في علوم الشريعة كلها والعارف بالحقائق التاريخية الثابتة وقواعد العربية وأساليبها للوقوف على المعاني الصحيحة للنصوص النبوية التي هي الغاية...وفي ذلك قال الناقد الإمام علي بن المديني:«التفقه في معاني الحديث نصف العلم،ومعرفة الرجال نصف العلم»[1].

1-سير أعلام النبلاء،الذهبي،48/11

المبحث الثالث : مرتبة السنة في التشريع عند الشيخ الغزالي

المطلب الأول: مكانة السنة عند الغزالي وأهميتها في الإستدلال، ومرتبتها

إن موقف المبدئي والثابت للشيخ الغزالي من السنة هو موقف الإلتزام الكامل بها والمحاماة عنها والاشتباك مع خصومها ، بقلمه البليغ وبيانه الدفاق ، ولقد شدد النكير في أكثر من كتاب له على الذين يزعمون الاستغناء بالسنة عن القرآن مسفها رأيهم ومضللا اتجاههم ، كما حمل في الوقت نفسه على الذين يخوضون في السنة ويتحدثون عنها، دون أن يعايشوا القرآن ويضربوا معرفته بسهم وافر فيقول :«إن إنكار المتواتر من السنة العملية خروج عن الإسلام ، و إنكار المروي من سنن الآحاد لمحض الهوى و العصيان مخوف العاقبة »[1]،ويقول أيضا :«المسلمون متفقون على أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما مصدرا التشريع ،وإنهما المرجع الأوثق والأوحد لطالب الحق وناشد الرضوان الأعلى، وليس بعد قول الله ورسوله مجال للاقتراح أو مسلك مغاير»[2] .

ويقول أيضا : «وأما السنة فأوجز ما يقال فيها : تنزيل من التنزيل ، أو قبس من الذكر الحكيم، وقد أوتي محمد صلى الله وعليه وسلم جوامع الكلم ، وانسابت هداياته من ينبوع جياش بالرشد حافل بالخير، وسبحان من أبدع محمدا صلى الله وسلم إنه الإنسان الذي صان الإيمان مادة ومعنى وعاش به سيرة ودعوة ، وأقام على دعائمه مجتمعا ودولة ، وأنشأ باسمه حضارة ترنو إليها المشارق والمغارب ، ويرهب باسمها المعتدون والفوضويون ، والثقافة الإسلامية قامت على الكتاب والسنة معا »[3] ،لقد كان حب الشيخ الغزالي للسنة النبوية كبيرا جدا وهو القائل :« أعلن أن هواي أبدا مع كتاب الله وسنة رسوله »[4] . وقال وهو مكظوم : «الشتم الذي وجعني اتهام البعض لي بأني أخاصم السنة النبوية ، وأنا أعلن أن الله ورسوله أحب إلي مما سواهما وأن إخلاصي للإسلام يتجدد ولا يتبدد»[5]

1-ليس من الاسلام ،محمد الغزالي،ص39

2-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص42.

3-السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ،ص201.

4-دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين،ص22.

5-مقدمة الطبعة السادسة من السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث،ص،7.

إن حب الغزالي لسنة جعله يجرد قلمه للدفاع عن حجية السنة ويرد على القرآنيين فيقول :« قوم ينكرون السنة إجمالا وتفصيلا ويزعمون أن الكلام يقوم على القرآن وحده»[1]، لأن في نظره القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله.

ويقول في كتابه دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين:« تواجه السنة النبوية هجوما شديدا في هذه الأيام، وهو هجوم خال من العلم والإنصاف، وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن وحده...ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا»[2] ويقول : «ولا أعرف أحدا من علماء المسلمين هون من مكانة السنة النبوية ،ولا أجاز أن يقول رسول الله كلمة ويمضي هو على خلافها بل ذلك طريق الكفر»[3]

يرى الشيخ الغزالي:«إن الكتاب والسنة دعائم التشريع الأولى ولم يقل مسلم في المتقدمين أو المتأخرين إن سنة محمد صلى الله عليه وسلم تهمل وإنها ليست مصدرا للتشريع»[4] ،ويرى أن السنة هي مصدر الثاني للإسلام، فيقول:« وما من شك أن السنة هي الركن الثاني في الدين والمصدر الذي يلي القرآن في التشريع »[5]، ويقول أيضا :«وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم هو الأصل الأول في التشريع ، وأن السنة تجيء بعده في المرتبة»[6] ، ويقول: « إن الصورة المتكاملة و الجميلة للإسلام تؤخذ من الكتاب والسنة ؛ الكتاب أولا،ثم السنة بعد ذلك»[7].ويرى أن ميدان السنة في نطاق التشريع أوسع، وكيف لا تكون كذلك وهي موضحة لما أشكل من القرآن و مبينة لم أبهم منه ،مخصصة لعامه ، مقيدة لمطلقة ، فيقول :« والسنة عدا هذا النطاق التشريعي ميدان أوسع وينبغي أن نطيل التأمل فيه»[8]،إلا أن الشيخ يرد بعض الأحاديث الصحيحة لأن في نظر فهمه للقرآن وجب

1-مستقبل الإسلام خارج أرضه،محمد الغزالي،ص 81.
2- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.محمد الغزالي، ص22.
3- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص 201.
4- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص 139.
5- هذا ديننا، محمد الغزالي، ص207.
6- نظرات في القرءان الكريم.محمد الغزالي،ص142.
7- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص 144.
8- ليس من الإسلام، محمد الغزالي، ص 31.

ردها لتعارضها معه،فهل ترتيب السنة من حيث المصدرية والتشريع تجعل من القرآن الكريم حاكما عليها تصحيحا وتضعيفا،وشرحا وتأويلا؟

المطلب الثاني: هل القرآن حاكم على السنة ؟

إن محاكمة الأحاديث إلى القرآن لها دور بارز بعض المجالات الضيقة التي تقتضيها، سيما عندما ينفرد روا، أي كان هو بشيء غريب لا يعرفه أحد لا رواية ولا علما، يتعين عرضه على القرآن ثم السنة ثم الإجماع، على أن هذا التفرد بهذا الشكل كاف لرد ما تفرد به الراوي فبمخالفته أصلا من هذه الأصول الثلاثة يجزم الناقد بأنه مردود،وأنه أخطأ في نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم،أو كذب فيه ، وإما إن كان ما انفرد به معمولا به في عهد الصحابة وكبار التابعين أو مرويا من جهات أخرى بما يوافقه أو بما يشهد له ، فالواجب علينا قبوله دون تردد لقناعتنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قاله . وإن كان ذلك يسمى خبر الآحاد فإنه يصبح بمثابة المشهور ، لخروجه من الغرابة والشذوذ ولا ينبغي الخلط بين الغريب الشاذ وخبر الآحاد . وهذا ما يفيده قول عائشة رضى الله عنها:" ما لفاطمة؟ ألا تتقي الله؟" يعني قولها: " لاسكن ولا نفقة "[1]فلم يكن صنيعها سوى تأكيد منها على جانب الغرابة والشذوذ في فهمها من قول النبي صلى الله عليه وسلم ،من أن الذي صدر في حقها منه صلى الله عليه وسلم إنما هو حكم عام للمطلقة تطليقاً بائنا.

إذا « ليس من أحد الصحابة من سلك من محاكمة الأحاديث إلى القرآن هذا المسلك مباشرة قصد معرفة الصدق منها أو الكذب وإنما كل الذي سجله لنا التاريخ عنهم في هذا المجال بالذات هو ردهم للمرويات التي تخالف المحفوظ عندهم والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم» [2]

ولعل القائلين بضرورة عرض الأحاديث على الكتاب للتحقق من صحتها نظروا إلى عدم العصمة فيمن يروي تلك الأحاديث، واستحالة صدور المنافاة للنصوص القرآنية من النبي صلى الله عليه وسلم – لا قولا ولا عملا ولا إقرارا– وهذا حق لا نزاع فيه ، غير أن إطلاق القول في محاكمة كل ما يروى إلى النبي صلى الله عليه وسلم باستثناء المتواتر لا يبرره الواقع ، بل فيه ما يؤدي إلى التسوية بين أقوال الآخرين وهذا من الخطورة بمكان.

1-البخاري،كتاب الطلاق،باب قصة فاطمة بنت قيس،2038/5

2- نظرات جديدة في علوم الحديث،حمزة المليباري ص87.

إن النتائج التي تترتب عن هذه المحاكمة لا تكون مقبولة في كثير من الأحيان، حيث لا يلزم أن يكون كل ما وافقه النص القرآني من المرويات قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم بالضرورة ، وكذا كل ما تظهر فيه مخالفة منها لمنطوق القرآن لا يشرط فيه عدم تعرضه صلى الله عليه وسلم له بالقول فيه لأنه المخالفة هنا لا تعني مجرد عدم التعرض له من قبله صلى الله عليه وسلم لإتفاق الأمة على أن صلى الله عليه وسلم يبين مقصود القرآن ، إما تقييدا أو تخصيصا ، بل يحرم ويحلل فيما لم يرد فيه حكم قرآني واضح وكل ذلك بإملاء منه سبحانه وتعالى وفهم أوحاه إليه»[1]

مما يستفاد من عبارات الشيخ الغزالي المبثوثة في ثنايا كتبه أنه يعتبر القرآن هو المصدر الأول والأساس لتعاليم الإسلام يعلو،ولا يعلى عليه،ثم تجيء السنة النبوية،وهي نتيجة منطقية لكون القرآن أصل والسنة فرع عنه متولد من الفهم العميق والصحيح لمعانيه،وتجاوز هذا الترتيب إما بإغفال معاني القرآن وفهم السنن بمعزل عنه ،أو بالتشبث بمرويات تعارض معاني القرآن،هو في نظر الشيخ أمر خطير يؤدي إلى خلل في فهم معالم الإسلام ويأسف –رحمه الله– لأن كثيرا من المسلمين لم يحسنوا فهم السنة على أنها متولدة من القرآن ولا يمكن أن تتجاوز حدود معانيه،ولم يتبعوا السلف في نهج هذا الفهم[2] .

ولما كان القرآن الكريم قد نقل إلينا بطريق يقيني الثبوت لأنه متواتر جملة وتفصيلا،ولما كانت السنة أكثرها آحاد،اعتبر الشيخ الغزالي قوة ثبوت القرآن تهيمن على مصادر التشريع بلا جدال[3] وتبع الأحناف في إفادة الآحاد الظن الراجح فكل دلالة أقوى ترجح عليه كظاهر القرآن والقياس القطعي[4] فلزم من ذلك أن تكون السنة تحت جناح القرآن من حيث الدلالة،وليس ذلك غمط لمكانة السنة فهي ضميمة إلى القرآن[5] ،ويؤكد الشيخ في كل مرة على مكانة السنة وأهميتها في شرح معاني القرآن وفي التفصيل والتفريع كما تشرح جملة القوانين حقيقة الدستور،وكما لا يمكن للقوانين أن تتعدى الدستور فكذلك لا ينبغي أن تثبت السنن أو أن تفهم خارج سياق هداية القرآن أو تخرج عن مداه[6].

1- نظرات جديدة في علوم الحديث للمليباري،ص87..

2- فقه السيرة،محمد الغزالي،ص63.

3-نظرات في القرآن الكريم،محمد الغزالي،ص143

4-فقه السيرة،محمد الغزالي،ص35.

5- نظرات في القرآن الكريم،محمد الغزالي،ص143

6- المرجع نفسه،ص144

المبحث الثالث: حديث الذبابة:

المطلب الأول:نص الحديث وموقفه الغزالي منه

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحدى جناحيه داء، الأخرى شفاء" وفي رواية "وفي الأخرى شفاء» [1] .

هذا الحديث الصحيح أيضا أثار حفيظة جماعة من الذين يحكمون عقولهم دون حدود في كل شيء وطرحوا حوله عدة استفهامات فاعتبروه مخالفا للتشريع ، ومنفرا من الإسلام، ومن هؤلاء الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وشيوخه في مدرسة المنار ،فيقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:«هب أن رجلا قال: لا أستطيع قبول رواية :" إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه الداء ، وفي الأخر شفاء"[2] أيكون من الكافرين ؟ كلا فلم يقل:أحد: إن أركان الإسلام تضم الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وغمس الذباب في الشراب إذا سقط فيه؛ وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شرعية ، أو حكم قاطع ،بيد أني من باب استكمال البحث العلمي فقط أسأل: هل الحديث مردود؟ .إن بعض علماء الحشرات قرر أن هذه الحشرة تفرز الشيء ، والشيء المضاد له، فإن استقر هذا الرأي الفني فالحديث صحيح، وإن ثبت قطعا أن الذباب مؤذ في جميع الأحوال التي تعرض له- ومن بينها الحالة المروية في الحديث- رددته دون غضاضة، وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني ،وقد روى البخاري أحاديث صحيحة السند، لكن أئمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى عندهم منها، وأنا شخصيا متوقف في هذا الحديث ، لم أنته إلى حكم حاسم ، وعلى أية حال فهو لايتعلق بسلوك خاص أو عام »[3] .

ويقول : « كنت مع الأستاذ محمد أبو شهبة ، وهو يذيع شروحا جيدة لصحيح البخاري من إذاعة مكة المكرمة ، وكان علمه غزيرا ، وبيانه جميلا- رحمة الله عليه-؛وفي يوم ما رأيته بادي الغضب

1-اخرجه البخاري- كتاب بدء الخلق- باب اذا وقع في شراب أحدكم والحديث رواه أيضا الأئمة :أحمد وأبو داوود ،والنسائي ، وابن ماجة، وغيرهم .1206/3 برقم 4142.

2-المصدر نفسه.

3- قذائف الحق ،محمد الغزالي،ص 120.

، فسألته : مالي أراك متجهما؟ قال: ألم تر إلى فلان يشكك في حديث :"إذا وقع الذباب فب إناء أحدكم ..." وهو من الصحاح ؟

قلت: «إنني اطلعت على ما قاله علماء الأحياء في الموضوع، ليس في كلامهم نفي ولا جزم بأن الذباب من الحشرات التي تحمل في جناحيها الداء والدواء معا، فليبحثوا ما شاءوا، والحديث باقي عندنا حكمه فإذا استقروا بطريق القطع على أن أجنحة الذباب تحمل المرض والترياق، كان الحديث من آيات النبوة وإلا اجتهادهم الظني ، ولنا حديثنا الظني ؛ولن تهي للإسلام قاعدة أو تسقط من شرفة إذا اختلفت النتائج بالسلب أو الإيجاب ...المهم في اليقينيات ...!

لكن الشيخ رحمه الله، اتجه إلى أن خبر الواحد يفيد اليقين ، قلت : أهذا ما تعلمنا في الأزهر أخدعنا مشايخنا وهم يشرحون لنا علم الحديث ...؟ »[1] وقال شيخه في مدرسة المنار الشيخ محمد رشيد رضا :«وحديث الذباب غريب عن الرأي وعن التشريع جميعا ؛ أما عن التشريع في مثل هذا ؛ فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد التشريع العامة أن كل ضار قطعا فهو محرم قطعاً , وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفا ...وأما الرأي فلا يمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحي الذبابة في أن أحدهما سم ضار والأخرى ترياق واق من ذاك السم ...وإن إخراج البخاري لهذا في جامعه لا يعصمه من التماس علة في رجاله تمس مناعة صحته... وكل من ظهر علة في رواية حديث لم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعا، ولا يصح أن يقال أنه مكذب لحديث كذا حوله"[2].

المطلب الثاني:مناقشة الغزالي في موقفه من حديث الذبابة

إن استعمال النظر العقلي في نقد هذا الحديث جلي وغير جديد ، بل هناك من تعرض له بالنقد قديما بالعلة ذاتها ، وقد رد الإمام الخطابي ردا علميا بقوله : « تكلم في هذا الحديث من لاخلاق له، فقال: كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب؟ وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فإن كثيرا من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ،وقد ألف الله بينهما وقهرها على الاجتماع؟ وإن الذي ألهم النحلة

1-المنار (مجلة)، محمد رشيد رضا،29/48-51.

2-فتح الباري بشرح صحيح البخاري،10/252.

اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه، وألهم النملة أن تدخر قوتها إلى أوان حاجتها ،وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت ؛لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا...»[1]

يقول أبو شهبة :« إن الحديث رواه سبعة من أئمة الحديث وسند كل منا صحيح فلا حرج أن أقول : إن حديث الذباب صحيح غاية الصحة ، من ناحية السند، وأما من ناحية المتن ، فقد أثبت الطب الحديث بما لا يدع مجالا للشك أن الحديث صحيح في معناه»[2] .

وقال الشيخ الألباني :«إن كثيرا من الناس يتوهون ان هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء وهو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم،فإذا وقع في الطعام أو الشراب علقت به تلك الجراثيم،والحقيقية أن الحديث لايخالف الأطباء في ذلك ،بل يؤيدهم إذ يخبر أن في احد جناحيه داء ولكنه يزيد عليهم فيقول :"وفي الآخر شفاء" فهذا مما لم يحيطوا بعلمه ،فوجب الإيمان به إن كانوا مسلمين ، وإلا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم وإن كانوا عقلاء علماء!»[3] .

ومن بين المكتشفات العلمية حول الذباب:

-«في سنة 1947 تمكن العلمان الإنجليزيان :آر نشتين و كوك ، و العالم السويسري : روليوس من عزل مادة سموها جافاسين من الفطور التي تعيش على الذباب ، وتبين لهم أن هذه المادة مضادة حيوية تقتل جراثيم مختلفة من غرام سلبي وغرام إيجابي.

- وفي سنة 1948 تمكن بريان و كورتيس وهيمنغ وجيفيرس من بريطانيا من عزل مضادة حيوية اخرى سموها كلوتيزين من الفطريات نفسها التي تعيش من الذباب ،وهي تؤثر في جراثيم غرام سلبي كالتفؤيد والزحار.

-وفي سنة 1949 تمكن العالمان الإنجليزيان كوميس وفارمر والسويسريون جرمان وروث وإثلنجر بلانتز من عزل مادة (مضادة حيوية) أخرى من فطر ينتمي إلى فصيلة الفطور التي تعيش في الذباب ،سموها أنياتين ،ولها أثر شديد في جراثيم غرام سلبي وغرام إيجابي كالتفؤيد والكوليرا والزحار وغيرها»[4]

1--فتح الباري 252/10.

2-دفاع عن السنة النبوية،محمد أبوشهبة،ص335

3-السلسلة الصحيحة،ناصر الدين الألباني، ص1/97-98.

4- دفاع عن السنة النبوية،محمد أبوشهبة،ص349

لقد عد الكثير من الباحثين هذا الحديث من المعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ولذا لا يجوز لنا الإسراع إلى تكذيب الأحاديث الصحاح أو تهوينها لأية شبهة أو ننتظر ما يقوله العلم والطب الحديث للحكم على الحديث وتجاوز منهج نقاد الحديث في عصر الرواية وأحكامهم العلمية المتكاملة... لأننا إن فعلنا ذلك ستتغير أحكامنا على الحديث تبعا للمكتشفات العلمية المتطورة والمتغيرة وغير الثابتة...أنرجع فنصحح تلك الأحاديث بعد أن كذبناها وحكمنا بعلتها أو وضعها؟؟

إنه من الخطورة بمكان أن نتخذ هذه الأحاديث ملعبة وملهاة ؛ نكذب اليوم ما صححه نقاد الحديث بالأمس ونصحح اليوم ما تلقته الأمة بالقبول ما كذبناه بالأمس!! ، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة ما تلقته الأمة بالقبول واتفق عليه نقاد الحديث القدامى بالصحة و:«أن النبي صلى الله عليه وسلم (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) ولا يهمنا كثيرا ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب؛ لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي ،ومع ذلك فإن النفس تزداد إيمانا حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح».[1]

إن مما يستفاد من تعامل الشيخ الغزالي مع هذا الحديث هو تأكيده أن موقفه من خبر الآحاد كان نتيجة لتأثره بمناهج تدريس علوم الحديث في الأزهر،وأن شيوخه فيها علموه أن خبر الآحاد يفيد الظن لا اليقين،وبالتالي ما الداعي للفع حدة هذا الهجوم على شيخنا؟ فهو ليس الوحيد الذي أعل بعض أحاديث الصحيحين التي من هي قبيل أحاديث الآحاد وقد تبع الأحناف في ذلك كما رأينا سابقا.

الشيخ الغزالي في الحقيقة توقف ولم يرد هذا الخبر النبوي لهوى أو تعصب،وما يثبت ذلك اعلانه أنه سيقبل الحديث إذا أكدت الدراسات العلمية وجود الداء والدواء في جناحي الذبابة ،وهي-أي الدرسات العلمية- في نظر بعض الباحثين قد تكون من القرائن المرجحة إذا كانت نتائج التجارب العلمية ثابتة ونهائية وحقيقية،إلا أن هذا يعز في الدراسات والتجارب العلمية ،فما هو مسلم به اليوم قد يتبين نقيضه في الغد،والعكس صحيح،ولذا الأصح والأسلم هو العودة إلى نقاد الحديث القدامى وأحكامهم فيما اتفقوا عليه خصوصا ما ورد في الصحيحين.

1-السلسة الصحيحة،ناصر الدين الألباني،(98/1)

الخـــاتِمـــــة

الخاتمة

بعد هذه الجولة في كتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وتسليط الضوء على موقفه من السنة النبوية في بعض مسائلها، ظهر لي أن الشيخ الغزالي كغيره من العلماء والدعاة لهم محامد كثيرة تذكر، وبعض الثغرات المعدودة،فهو من طينة بشرية في النهاية،وجلّ من لا يخطئ ،والمخطئ فينا من تخصص في تتبع السقطات،وتعامى عن عظيم المحامد والمكرمات.

لقد توصلت في بحثي هذا على **نتائج أهمها**:

1-الشيخ محمد الغزالي متأثر جدا بمدرسة المنار وروادها،ويتجلى ذلك في كونه حمل معهم هموم الأمة،وجاهد في سبيل إصلاح مكامن الخلل فيها،وكافح من أجل إيضاح صورة الإسلام الحضارية المفعمة بالحياة والجمال، والمرتكزة على العلم والمعرفة.

2- تطابقت وجهات نظر الشيخ محمد الغزالي مع أساتذته في مدرسة المنار في عدة أمور،منها:منح العقل دورا بارزا في التعامل مع الوحي كتابا وسنة،وجعل القرآن عمدة في الإصلاح وحاكما على السنة تصحيحا وتعليلا ،ورد أحاديث الآحاد المخالفة في نظرهم للقرآن والعقل وإن كانت في الصحيحين.

3- الشيخ محمد الغزالي غير متخصص في علم الحديث،وليس له إحاطة بمنهج نقاد الحديث ولا يعتمد على توجيهات شراح الحديث المتخصصين في مشكل الحديث ومختلفه.

4- الشيخ محمد الغزالي يؤمن إيمانا لا ريب فيه بأن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع لذا جرد قلمه للدفاع عن حجية السنة في مواجهة المشككين والمجترئين عليها، وملأ خطبه ومقالاته ومحاضراته وكتبه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

5-قلب الشيخ محمد الغزالي يفيض حبا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ،ونيته الدفاع عن الإسلام وصورته الجمالية،وتنقية السنة مما قد يشوبها،وحماية الدعوة من كل ما يشوهها ويضر بها،وهو الذي أكد حينما اعترض على حديث قطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود؛أن الذي يعنيه سمعة الإسلام عندما يسافر امرؤ متعصب إلى أوروبا وأمريكا ثم يذكر للناس أن المرأة والكلب والحمار سواء في إفساد الصلاة عند مرورها.

ولعل **أهم التوصيات** التي أختتم بها هذا البحث المتواضع:

1-ينبغي لمن يتعامل مع السنة النبوية ،لكي ينفي عنها انتحال المبطلين،وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين أن يتشبث بعدة أمور،أبرزها:أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة الأثبات، والتي تشمل السند والمتن جميعا،سواء كانت السنة قولا أم فعلا،أم تقريرا.ولا يستغني باحث هنا عن الرجوع إلى أهل الذكر والخبرة في هذا الشأن،وهم صيارفة الحديث الذين أفنوا أعمارهم في طلبه ودراسته،وتمييز صحيحه من سقيمه، ومقبوله من مردوده،﴿ ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر:14].

2-ابراز وايذاع بأن للحديث علوما كثيرة،من بينها فقه الحديث ومشكل الحديث ومختلف الحديث،وعلم العلل ،هذه العلوم وغيرها لا تؤتى إلا للمتبحر في علوم الشريعة كلها، والعلوم المساعدة لها كالعربية والتاريخ،ولذا يكون من الضروري أن تركز مناهج تدريس الحديث وعلومه في الجامعات على إبراز منهج نقاد الحديث القدامى وتطبيقاتهم،وعلى منهج المحدثين المتأخرين وابداعاتهم،حتى لا يتصور انفكاك السند عن المتن،أو الفقه عن علم الرجال،أو تعارض الحديث مع القرآن ،أو تصادم الأخبار النبوية مع العقل،وحاشا ذلك أن يكون لأن السنة النبوية باتفاق لهي مصدر للتشريع والمعرفة والحضارة.

3-تشجيع عقد ملتقيات وندوات تهتم بتسليط الضوء على الشبهات التي تثار على السنة من أجل دفعها من طرف المتخصصين في الحديث وعلومه،كما يستحسن تحفيز الطلبة على البحث في التراث الذي يخلفه رجالات الدعوة والإصلاح وتعاملهم مع الوحي والواقع.

4-التحلي بالموضوعية والإنصاف والأخلاق الحميدة عند مناقشة الدعاة الربانيين كالشيخ محمد الغزالي رحمه الله،والكف عن تجريحهم وتشويه مقامهم،والتقليل من مكانتهم،وطمس حسناتهم وأفضالهم،لكن في المقابل يجب التنبيه على أخطائهم بأدب الابن البار بأبيه، دون تشهيرها للعامة،وإنما يكون ذلك في حيز مغلق بين الباحثين فقط،لأن نشر دعوة الإسلام أهم من التفرغ التام والانشغال الكلي بتصويب الأخطاء وتتبع العثرات. وصل اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

الفـــهارس

طرف الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
وما هم بضارين به من أحد	101	البقرة	53
النفس بالنفس	47	المائدة	40
ولا تزر وازرة وزر أخرى	166	الأنعام	40
بل سولت لكم أنفسكم	18	يوسف	54
ولقد عهدنا إلى آدم	112	طه	45
فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما	118	طه	56
يا نار كوني بردا وسلاما	68	الأنبياء	53
وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا	9-8	الفرقان	51-52-55

طرف الحديث أو الأثر	الراوي الأعلى	رقم الصفحة
إذا وقع الذباب في طعام أحدكم	أبو هريرة	59
انما الميت يعذب ببعض بكاءه	عائشة أم المؤمنين	40
قطع الصلاة	عائشة أم المؤمنين	64
لا يقتل مسلم بكافر	علي بن أبي طالب	40
لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر	أبو هريرة	56
من كذب علي فليتبوأ مقعده في النار	عيد الله بن عمر	24

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2-الإحكام في أصول الأحكام- لأبي محمد بن حزم الأندلسي- ط/دار الحديث- القاهرة- الأولى (1404هـ).

3- إختصار شرح علوم الحديث، للحافظ ابن كثير-ط/ دار الكتب العلمية- الأولى (701هـ-774هـ)/ تحقيق الدكتور أحمد محمد شاكر.

4 - الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الحكم الواحد في الأحكام والعقائد- لسليم الهلالي- ط/ دار الصحابة-بيروت.

5 - إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ)- ط/ دار الفكر بيروت- الأولى (1412-1992م) تحقيق/ حمد سعيد البدري.

6- أزمة الحوار الديني- تأليف جمال سلطان- ط/ دار الوطن للنشر.

7-الأسس العقلية لعلم نقد السنة النبوية، الشريف حاتم بن عارف العوني-دار العوني-

8- الإسلام والطاقات المعطلة- للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار نهضة مصر- (مارس 1998).

9- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري- لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388هـ).

10- إكمال المعلم بفوائد مسلم: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ط/ دار الوفاء- مصر- الأولى (1419هـ- 1998م). تحقيق الدكتور يحي إسماعيل.

11- الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، للشيخ يوسف القرضاوي- ط/دار الوفاء- المنصورة- الثالثة (1413هـ-1992م).

12- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمان ابن يحي المعلمي اليماني- ط/ المطبعة السلفية (1378هـ) القاهرة.

13- بحث مقدم لؤتمر النتصار للصحيحية المنعقدة في الفترة من 14-2010/07/15 بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية —بتصرف-.

14- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

15- البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي- ط/مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد.

16- البرهان في علوم القرآن، للزركشي- (ت794هـ)- ط/ دار المعرفة- بيروت- (1491هـ)- تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

17- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، للشيخ محمد رشيد رضا- ط/ دار المنار- مصر- الأولى (1450-1931).

18- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار الشروق- الرابعة (1416-1996م).

19- التعريفات، لعلي لعلي بن محمد الجرجاني- المولود(840هـ)- (ت816هـ)- ط/ دار الكتاب العربي- بيروت- الأولى (1405هـ) تحقيق/ إبراهيم الإيباري.

20-تفسير المنار- المسمى بتفسير القرآن الحكيم، للسيخ محمد رشيد رضا- ط/ دار المنار- بمصر- الرابعة (1383هـ-1954م).

21- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية (1967م).

22-توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار، للإمام الصنعاني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بالقاهرة (1366هـ).

23- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه وهو(صحيح البخاري)، لمحمد بن اسماعيل أبي عبد الله البخاري-ط/دار ابن كثير-اليمامة-بيروت- الثالثة (1407هـ-1987م)-تحقيق –مصطفى ديب البغا.

24-جمال الدين الأفغاني، لمحمد أبي رية- ط/ دار المعارف- الثانية- من سلسلة نوابغ الفكر العربي (29هـ).

25-الحق المر- ط/ دار الشروق- الثانية (1410هـ- 1990م).

26-حوار هادئ مع محمد الغزالي، للشيخ سلمان فهد العودة- ط/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الأولى) ذو القعدة 1409هـ).

27-دراسات حديثة معاصرة، الدكتور حمزة المليباري، ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر دبي- مارس2005

28- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار الشروق- الأولى (1418هـ-1997م).

29- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، للشيخ محمد الغزالي- ط- مكتبة وهنة-الثالثة (1410هـ- 1990م).

30- دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين، للدكتور محمد أبي شهبة- ط/ دار اللواء للنشر- الرياض- الثانية (1407-1988م).

31- الرسالة، الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاعر، ط/ دار التراب- القاهرة-الثانية 1399م.

32- رسالة التوحيد، للشيخ محمد عبده- تصحيح محمد رشيد رضا- ط/ دار المنار بمصر- الحادية عشر(1365).

33-سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني- ط/دار المعارف الرياض.

34- سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، للألباني. ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.

35- سمط اللآلئ في الرد على الشيخ محمد الغزالي، لابن اسحاق الحويني ط/ دلر التوعية الإسلامية –الجيزة- الأولى (1410هـ- 1989م).

36- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، للشيخ محمد الغزالي- ط/دار الشروق- العاشرة (1421هـ- 2001م).

37- السُّنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم، ط/ دار الطباعة المحمدية.

38- سير أعلام النبلاء،الذهبي-ط/ مؤسسة الرسالة بيروت- التاسعة(1413م)- تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي.

39- السيرة النبوية، لابن هشام- ط/ الحلبي.

40- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال- ط/ مكتبة الرشد الرياض- الأولى (1420هـ- 2000م)- تحقيق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

41- الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، للشيخ يوسف القرضاوي- ط/ دار الشروق- الأولى (1420هـ).

42-الشيخ محمد الغزالي- حياته، وعصره، وأبرز من تأثر بهم، للدكتور/ رمضان خميس- ط/ دار الحرم للتراث- الأولى (1423هـ- 2003م).

43- شيخنا محمد الغزالي رحمه الله وصفحات من حياته، طه جابر العلواني.مجلة إسلامية المعرفة العدد السابع.

44-صحيح مسلم،الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،ط/دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى(1412هـ-1991م)

45- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم – ط/ دار العاصمة الرياض- الثالثة (1418هـ- 1998م)- تحقيق / د. علي بن محمد الدخيل الله.

46- طبقات الحفاظ، للسيوطي-ط/ دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى (1403هـ).

47-علل وأدوية، للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار نهضة مصر.

48- علوم الحديث، لابن الصلاح- تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمان (1984م) – ط/ دار المعارف.

49- علوم الحديث في ضوء تطبيقات النقاد، لحمزة المليباري- ط/ دار ابن حزم- بيروت- الأولى (1423هـ-2003م).

50- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر- ط/ دار المعرفة- بيروت- تحقيق/ محب الدين الخطيب.

51- فقه السيرة، محمد الغزالي، ط/دار الريانللتراث- الأولى، 1407-1987.

52-قذائف الحق، للشيخ محمد الغزالي- ط/ المكتبة العصرية- صيدا- بيروت.

53- قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ محمد الغزالي، 1997م.

54- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، للشيخ محمد الغزالي-/ دار نهضة مصر.

55- كتيب موسوعة الشيخ محمد الغزالي، مراجعة الدكتور/ علي جمعة، مفتي الديار المصرية- ط/ دار نهضة مصر.

56-كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز البخاري- طبع في استنبول (1308هـ).

57- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي- ط/ المكتبة العلمية- المدينة المنورة- تحقيق/ أبي عبد الله السورقي- إبراهيم حمدي المدني.

58-كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟ مدارسة الأستاذ عمر عبيدة حسنة مع الشيخ الغزالي- ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة- الأولى (1412هـ- 1992م).

59- لسان العرب، لابن منظور(ت711هـ)- ط/ دار صادر- بيروت- الأولى.

60- ليس من الإسلام، للشيخ محمد الغزالي- ط/ مكتبة وهبة- السادسة (1411هـ- 1991م).

61-محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع، جمع وإعداد قطب عبد الحميد- ط/ دار البشير للنشر والتوزيع- القاهرة- بدون د.ت.

62- مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية.

63- مختار الصحاح- لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت721هـ) ط/ مكتبة لبنان ناشرون- بيروت (1415هـ-1995م)- تحقيق/ محمود خاطر.

64- مختصر الصواعق المرسلة- لابن القيم الجوزية، اختصار الموصلي- مكتبة المتنبي بالقاهرة.

65- مختصر علوم الحديث لابن كثير- طبع مع الباعث الحثيث.

66- المدخل إلى السنة النبوية، للأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر- ط/ دارالاعتصام.

67-مستقبل الإسلام خارج أرضه، وكيف نفكر فيه، للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار نهضة مصر.

68-المسودة في أصول الفقه، لابن تيمية- تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة المدني بالقاهرة- سنة (1384هـ).

69- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ محمد الغزالي- الإصدار الأول من سلسلة كتاب الأمة- (جمادى الآخرة 1402هـ).

70-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس- دار الفكر- بيروت.

71-معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم ط/دار الكتب العلمية-بيروت-الثانية 1397هـ- تحقيق السيد معظم الحسين.

72- مقالات الشيخ محمد الغزالي –ط/ دار نهضة مصر.

73- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن الصلاح- ط/ مكتبة المتنبي.

74- المنار (مجلة)- أنشأها محمد رشيد رضا- ط/ مطبعة المنار- بمصر.

75- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي- ط/ دار إحياؤ التراث- بيروت- الثانية (1392هـ).

76- موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية، للدكتور يوسف القرضاوي- بحث ضمن مجلة مركز البحوث والسيرة- العدد الثامن (1415هـ-1994، 1995م).

77- موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية، للدكتور محمد سيد أحمد شحاتة – تقريظ/ أ.د.. محمد محمود بكار- الأولى(1430هـ-2009م)-ط/ دار السلام مصر.

78- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني- المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

79- نظرات في القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالي/ دار الكتب الحديثة- السادسة(1406هـ-1966م).

80- نظرة جديدة في علوم الحديث، لحمزة عبد الله المليباري- ط/ دار ابن حزم-بيروت- الأولى (1423هـ- 2033م).

81- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، للدكتور/ محمد رجب البيومي- ط/ دار القلم دمشق- الدار الشامية- بيروت- الأولى (1420هـ-1990م).

82- هذا ديننا، للشيخ محمد الغزالي- ط/ دار الشروق.

83- هموم داعية، للشيخ محمد الغزالي_ط/ دار القلم- دمشق- الثانية (1407هـ- 1987م).

من الأنترنت

84- موقع www. manbar alrai

85- برنامج الشريعة والحياة، النساء في القرآن،قناة الجزيرة،2008/06/18.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....**07**

الفصل الأول: مدرسة المنار والشيخ محمد الغزالي.....**13**

-المبحث الأول: التعريف بمدرسة المنار و أشهر روادها،ونشأتها وتطورها.....13

* أشهر رواد مدرسة المنار.....14

- جمال الدين الأفغاني.....14

- محمد عبده.....15

- محمد رشيد رضا.....16

- المبحث الثاني: التعريف بشخصية الشيخ محمد الغزالي، وتأثره بمدرسة المنار.....19

الفصل الثاني: موقف الشيخ الغزالي من السنة النبوية.....**24**

- المبحث الأول: موقف الشيخ الغزالي من أحاديث الآحاد.....24

-المطلب الأول: التعريف بخبر الآحاد..... 24

- المتواتر.....24

-خبر الآحاد.....25

- المطلب الثاني: موقف الشيخ الغزالي من خبر الآحاد وحجيته.....27

- المطلب الثالث: نقد موقف الشيخ الغزالي في مسألة خبر الآحاد.....31

- المبحث الثاني: الصحيحان وموقف الغزالي منهما.....37

- المطلب الأول: الصحيحان ومكانتهما.....37

- المطلب الثاني: موقف الشيخ الغزالي من الصحيحين وأحاديثهما.....40

- المطلب الثالث: نقد موقف الشيخ الغزالي من رده لبعض أحاديث الصحيحين.....42

- المبحث الثالث: مرتبة السنة في التشريع عند الشيخ الغزالي.....45
- المطلب الأول: مكانة السنة عند الغزالي وأهميتها في الاستدلال، ومرتبتها.....45
- المطلب الثاني: هل القرآن حاكم على السنة.....47

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية لآراء الشيح محمد الغزالي من السنة النبوية.....50
- االمبحث الأول:حديث" سحر النبي صلى الله عليه وسلم".....50
-المطلب الأول: نص الحديث وموقف الغزالي منه.....50
- المطلب الثاني:مناقشة موقف الغزالي في موقفه من حديث "سحر النبي صلى الله عليه وسلم" 52

- المبحث الثاني:حديث "لولا حواء لم تخن أنثى".....56
-المطلب الأول: نص الحديث وموقف الغزالي منه.....56
-المطلب الثاني: مناقشة موقف الغزالي في موقفه من حديث" لولا حواء لم تخن أنثى".....57

- االمبحث الثالث: "حديث الذبابة".....59
-المطلب الأول: نص الحديث وموقف الغزالي منه.....59
- المطلب الثاني: مناقشة موقف الغزالي في موقفه من "حديث الذبابة".....60

خاتمة.....64

فهرس الآيات.....**67**
فهرس الأحاديث والآثار.....**68**
فهرس المصادر والمراجع.....**69**
فهرس الموضوعات.....**75**